فضائل القرآن
من صحيح البخاري

الشيخ
عبد العزيز بن أحمد الحميدي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع الله فيه علم كل شيء، وأبان فيه كل هدى، خصه الله جل وعلا بفضائل جمة، ووعد المشتغلين به بهبات عظيمة.

والتأليف في فضائل القرآن واسع كبير، ألف فيه جماعة من العلماء مصنفات كثيرة، فمنهم من أفرد فضائل القرآن في كتاب مستقل كالقاسم بن سلام، وابن الضريس، والفريابي وغيرهم، ومنهم من ضمنه في كتابه كأهل التفسير الذين ساق بعضهم جملة من فضائل القرآن في مقدمات تفاسيرهم، وكذا من صنف في علوم القرآن حيث جعله نوعا من أنواع علوم القرآن، وساق المحدثون تلك الفضائل في كتبهم كل على طريقته، فمنهم من جعل الفضائل كتابا مستقلا، وعنون له بفضائل القرآن وبوب تحته أبوابا متعددة، وساق تحت تلك الأبواب جملة من الأحاديث والآثار وعلى رأس أولئك أمير المؤمنين في الحديث أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري في كتابه الجامع الصحيح، فقد عنون كتابا باسم كتاب فضائل القرآن، جعل تحته سبعة وثلاثين بابا، وساق فيها تسعة وتسعين حديثا من الأحاديث المرفوعة، كان المعلق منها وما التحق به من المتابعات تسعة عشر حديثا، والباقي موصولة، وفيه من الآثار عن الصحابة فمن بعدهم سبعة آثار.

ومن المحدثين من لم يفرد للفضائل كتابا مستقلًا، بل أوردها تحت كتب أخرى كصنيع الإمام مسلم –رحمه الله– إذ جعل تلك الفضائل ضمن أحاديث الصلاة، ولعل السبب في ذلك أن من أجل أعمال الصلاة قراءة القرآن فناسب إيرادها هناك.

ومن المحدثين من نثر أحاديث الفضائل في كتابه ولم يلتزم ذكرها في مكان معين، كما فعل ابن ماجه –رحمه الله– في سننه.

وقد رأى فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن أحمد الحميدي -عضو هيئة التدريس في كلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى- أن يضع شرحا مختصرا؛ لكتاب فضائل القرآن في صحيح الإمام البخاري -رحمه الله- نسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به قارئه ومستمعه.

الشيخ الدكتور سامي الجعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب فضائل القرآن

١- باب كَيْفَ نَزَلَ الوحي، وأَوَّلُ ما نَزَلَ.

قَالَ ابن عَبَّاس: "المهيْمِن: الأَمِينُ؛ القُرْآنُ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ كِتَاب قَبْلَهُ".

قوله: بسم الله الرحمن الرحيم كتاب فضائل القرآن، انفردت به نسخة الحافظ أبي ذر الهروي، وهي التي اعتمد عليها الحافظ ابن حجر في شرحه، أما بقية النسخ والروايات ليس فيها لا البسملة ولا كلمة كتاب فضائل القرآن، فهي بالنسبة للباقين غير أبي ذر أبواب هذا الكتاب من ضمن كتاب التفسير.

وضع الإمام البخاري -رحمه الله- كتاب فضائل القرآن ككتاب مستقل، فإذا رجعنا إلى أول الصحيح نجد أن البخاري يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ، وقوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} [النساء: ١٦٣]. فكأنه أراد هنا بيان كيفية وبداية نزول الوحي على النبي ﷺ، وأراد بداية بعثته ونبوته، ويدل على ذلك قوله: (بدْء الوحي)، وحديث عائشة: «أَوَّلُ ما بدئَ به رسولُ اللَّه ﷺ من الْوحيِ الرُّؤْيا الصَّالحةُ...»، ومفاجأة الملك للنبي ﷺ، وقوله: «فأَخذَنِي فغطَّنِي حتَّى بلَغ منِّي الْجهْد...» إلى أن قال له الملَك: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)} [العلق: ١ - ٥].

فبدء الوحي تضمن أولًا بدء نزول الملَك على النبي ﷺ مع نزول الوحي وهو بدء نبوته ﷺ وبعثته الكريمة، أي أن بداية نبوة النبي ﷺ كانت بنزول القرآن مباشرة، أي أنه لم ينبَّأ، ثم بعد ذلك نزل عليه القرآن، وإنما نبِّئ بالقرآن، وهذه قضيه مهمة جدًّا، فالأنبياء والرسل السابقون عليهم الصلاة والسلام ممن أنزل عليهم كتب كانت تأتيهم النبوة ويمكثون ما شاء الله ما يمكثون، ثم ينزل الله عليهم كتبه.

وأشهر نبي ذكر في القرآن هو موسى -عليه السلام- فالله تعالى كلمه ونبأه وهو عائد من مدين مع أهله: {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [طه:

١٢]، بينما لم تنزل التوراة على موسى عليه السلام إلا بعد ذلك بسنين، بعد أن ذهب برسالته إلى فرعون.... إلخ.

أما النبي ﷺ فكانت بداية بعثته مع القرآن، ولذلك كان القرآن نفسه ينوه بذلك: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: ١]، في بداية بعثته ونبوته، وهو رابط مهم وهو أحد المقاصد في باب بدء الوحي في أول الصحيح.

ومن ظاهر الأحاديث الأولى في صحيح البخاري، أن البخاري ذكر أحاديث تتابع نزول الوحي على النبي ﷺ مدة إقامته في مكة ثم في المدينة، ثم ذكر صورا أخرى من صور نزول الوحي عليه، كما في حديث عائشة أن الحارث سأل رسول الله ﷺ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ»، ومن المعروف أن الملَك كان يأتيه في صورة دحية الكلبي.

إذن فقد اختلفت مقاصد البابين مع تشابه بينهما.

قول البخاري: وأَوَّلُ ما نَزَلَ. فيه إشكال، أنه لم يرد في أحاديث الباب الخمسة أيٌّ ذكر لأول ما نزل من القرآن على النبي ﷺ، ولذلك تكلف الشراح -كالحافظ ابن حجر وغيره- في إخراج المناسبة بين قوله: **(أَوَّلُ ما نَزَلَ)** في الترجمة، وبين أحاديث الباب، والذي يظهر بقول البخاري: **(أَوَّلُ ما نَزَلَ)** أن المقصود -والله أعلم- الربط بين بداية نبوة الرسول ﷺ وبداية نزول الوحي عليه مع بداية نزول القرآن عليه ﷺ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم بدأت نبوته وبعثته مع بدء نزول القرآن؛ أي نُبِّئ بالقرآن مباشرة، فنزول الوحي على النبي ﷺ هو بداية نبوته وبعثته، وهي مرتبطة ارتباطًا ظاهريًّا بأول ما نزل من القرآن بمعنى أن نبوته بدأت بالقرآن ومعه.

ثم ذكر البخاري أثرا تفسيريًّا عن ابن عباس قال: **(المُهَيْمِنُ: الأَمِينُ)**؛ قوله: المهيمن هو تفسير من ابن عباس في وصف القرآن الكريم بأنه مهيمن في قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨].

والمعنى أن القرآن أمين على كل كتاب قبله، وما صدق به القرآن الكريم بما سبق من الكتب هو مما أنزل، وما لم يصدقه القرآن هو مما حرفه المحرفون وأدخله المدخلون من أحبار ورهبان أهل الكتاب في كتاب موسى وعيسى.

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ شَيْبَانَ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: أَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَا: «لَبِثَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ، يَنْزِلُ عَلَيْهِ القُرْآنُ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ»

قوله: حدثنا عبيد الله بن موسى هو العبسي أول من جمع المسند في الكوفة.

قوله: عن أبي سلمة هو ابن عبد الرحمن بن عوف.

قوله: لَبِثَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ. أي مكث في مكة عشر سنين، ومن المتفق عليه أن من بعثة الرسول ﷺ ونزول آيات {أقرأ}عليه في الغار إلى هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة ثلاث عشرة سنة، فكيف قيل هنا أنه مكث عشر سنوات ؟

أجيب عن ذلك بأنهم لم يعدوا الثلاث سنوات الأولى بسبب كثرة فترات الوحي فيها. فالرسول ﷺ بعد نزول الوحي عليه أول مرة وقرأ الآيات الخمس الأولى أخذ النبي ﷺ يرجف فؤاده، وفتر عنه الوحي ستة أشهر كاملة، ثم عاد النبي ﷺ إلى الغار مرة أخرى إلى التحنث وخرج من الغار ونزل إلى الوادي عائدا إلى مكة، سمع صوتا يناديه: يا مُحَمَّد فرفع رأسه فإذا الملك الذي جاءه بحراء جالسا على كرسي بين السماء والارض قد سدّ ما بين المشرق والمغرب، فرجع مرعوبا وهو يقول دثروني فنزلت الدفعة الثانية من الوحي.

وقيل: لم يحسبوا الثلاث سنوات الأولى من البعثة؛ لأن النبي ﷺ كان يدعو إلى الإسلام فيها خفية ويسمونها المرحلة السرية في الدعوة.

حَدَّثَنَا موسى بن إسماعيل ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: أُنْبِئْتُ أَنَّ جِبْرِيلَ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُمِّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَتْ: هَذَا دِحْيَةُ، فَلَمَّا قَامَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا

إِيَّاهُ، حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ، أَوْ كَمَا قَالَ، قَالَ أَبِي: قُلْتُ لأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ.

قوله: حدثنا موسى بن إسماعيل. هو التَّبوذَكيّ.

قوله: حدثنا معتمر. بصيغة اسم الفاعل من الاعتمار.

قوله: عن أبي عثمان: هو تابعي جليل مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام اسمه عبد الرحمن بن مل.

قوله: أُنْبِئْتُ. هذه الصيغه أُنْبِئْتُ تدل أن الحديث مرسل، ولولا أنه صرح في آخر الحديث أنه أخذه من أسامة؛ لكانت هذه علة في الإرسال، ولكنه ذكر من سمعه من الصحابة واتصل سند الحديث.

قوله: أم سلمة. هي أم المؤمنين.

قوله: قالت هذا دحية. تقدم في أول الصحيح عن عائشة أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضى الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يا رسول، اللَّهِ كيف يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وهو أَشَدُّه عَلَيَّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي". الوحي في هذه الصورة لا يكون قرآنا.

وقد يتمثل له بصورة رجل لا يعرفونه؛ كما دل عليه حديث عمر رضي الله عنه الذي افتتح به الإمام مسلم صحيحه: **بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: «مَا الْمَسْئُولُ**

عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: «يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ».

وقد يتمثل الملك للنبي ﷺ بصورة دحية بن خليفة الكلبي، وكان موصوفا بالحسن والجمال.

قوله: من هذا. هذا خطاب من النبي ﷺ لأم سلمة يسألها من هذا أتعرفينه. **قالت: دحية**. أي: والله ما حسبته إلا هو.

قوله: حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ. يعنى أنها ظنت أنه دحية، فلما أخبر النبي ﷺ أنه جبريل عليه السلام علمت أم سلمة أن من جلس عنده ليس دحية وإنما هو جبريل عليه السلام.

قوله: قُلْتُ لِأَبِي عُثْمَانَ: مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ قَالَ: مِنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ. القائل هو سليمان بن طرخان والد معتمر، فأخر ذكر من سمع منه إلى آخر الحديث.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

هذا حديث عظيم.

قوله: المقبري. كان يتعاطى حفر القبور في البقيع.

قوله: **مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ**. تشمل جميع الأنبياء السابقين.

قوله: إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ. الله يؤيد أنبياءه ورسله بالآيات والبراهين الدالة على أنهم أنبياء مرسلون صادقون، وهذه الآيات هي الحجج التي يقيمها الله عز وجل على أقوامهم الذين أرسلوا إليهم، فالله يؤيد الأنبياء ببراهين عظيمة يستطيع الناس بها أن يفرقوا بين النبي الصادق وبين المتنبئ الكاذب الذي قال أوحي إلي ولم يوح إليه، وهذه الآيات والبراهين هي التي يسميها العلماء دلائل النبوة وهي متعددة ومتنوعة، منها دلالة الأحوال والصفات والنصرة والمعجزة وما أنزل من الوحي والكتاب، يؤيد الله بها أنبياءه، فعلى سبيل

المثال فقد أيد الله موسى عليه السلام بالعصى واليد، قال تعالى: {اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} [القصص: ٣٢].

وأعطى عيسى السلام كثير من الآيات العظيمة، قال تعالى: { وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ٤٩].

قوله: ما مثله آمن عليه البشر. يدل على أمرين:

الأول: أن هذه الآيات والبراهين التي يؤيد الله بها رسله كافية وافية شافية لإقامة حجة الله على الناس ولا تحتاج إلى مزيد، والله جل وعلا أقام الحجة على الخلق، وقطع أعذارهم ببعثة الأنبياء والرسل، وما أيدهم به من الآيات والبراهين العظيمة، وهذا ما سيقطع أعذارهم يوم القيامة، يقول الله تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء: ١٦٥].

ولما يدخل الكفار النار بسبب كفرهم بأنبياء الله ويستغيثون ويطلبون من الملائكة تخفيف العذاب يأيتهم الرد المفحم ألم يأتكم رسل من ربكم، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [غافر: ٤٩، ٥٠].

فقولهم بلى هو اعتراف منهم جميعا أن الأنبياء الذين بعثوا ومعهم آيات وبراهين كانت كافيه لإقامة الحجة عليهم بدون تردد، وقد شهدوا على أنفسهم بذلك، كما في قوله تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} [الأنعام: ١٣٠].

الأمر الثاني، المقصود هنا أن ما بعث به الأنبياء من براهين فتحت به قلوب وصدور العباد وآمنوا به وصدقوا الرسل.

قوله: وإنّمَا كَانَ الّذى أُوتيتُ وحيًا أَوحاهُ اللّهُ إلَيّ. ينوه النبي ﷺ بما أوتيه من الآيات، فالنبي ﷺ أعطي من البراهين والآيات ما وزعه الله على غيره من الأنبياء السابقين سواء من المعجزات الحسية أو من دلالة الأحوال الصفات، إلا أن النبي ﷺ ينوه بأمر عظيم وأكثر دلالة على نبوته وهو الوحي والمقصود به القرآن الكريم.

هذا يعني أن الفائدتين اللتين ذكرناهما أن الآيات كافية لإقامة الحجة وكافيه لمن أراد الله شرح صدره وهدايته وكلاهما متوفر في القرآن وهو أعظم البراهين والدلالات، فالقرآن تحدث عن خلق الإنسان والجان، وعن المستقبل القادم من القيامة والساعة والبعث والنشور، وعن صلاح المجتمعات، وعن بداية هذا الكون ونهايته.

وفي هذا الحديث رد على المتفلسفة الذين يزعمون أنه لا بد من دلائل عقلية على صدق النبوة، وأن القرآن دليل لفظي فقط. يقولون هذا لإضعاف حجة القرآن وهذا كله باطل. فخلق الكون يعجز عنه الفلاسفة، وكذلك المطر والغيث والنبات في الأرض وأرزاق الخلق، فهذا هو البرهان المستمر إلى قيام الساعة، وهذا لا يؤثر عليه وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالقرآن ليس فصاحة فقط ولا بلاغة فقط، بل إعجازه في معانيه ومضامينه، ففيه كل ما يحتاج إليه في الخلق والتكوين، ومراحل الحياة، وتاريخ البشر من لدن آدم عليه السلام إلى مُحَمَّد ﷺ.

قوله: تَابعًا يومَ الْقِيامة. يدل على ذلك ما روي من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **" عُرِضت عليَّ الْأُمم، فَرأيت النَّبيَّ ﷺ ومعه الرُّهيطُ، والنَّبيَّ ومعه الرَّجل والرَّجلان، والنَّبيَّ لَيس معه أَحد، إذْ رفع لي سواد عظيم، فظَننت أَنَّهم أُمَّتي، فَقيل لي: هذا موسى ﷺ وقَومه، ولَكن انظُر إلى الْأُفُق، فَنظَرتُ فإذا سوادٌ عظيم، فقيل لي: انظُر إلى الْأُفُق الْآخر، فإذَا سوادٌ عظيم، فَقيل لي: هذه أُمَّتك ومعهم سبعون أَلْفًا يدْخلُون الْجنَّة بغيْر حساب ولاَ عذَاب "، ثُمَّ نهض فدخل منزلَه فخاض النَّاس في أُولئك الَّذين يدخلُون الْجَنَّة بغير حساب ولَا عذَاب، فَقَالَ بعضهم: فَلعلَّهم الَّذين صحبوا رسولَ الله ﷺ ، وقَال بعضهم: فَلَعلَّهم الَّذين ولدُوا في الْإِسلَام ولَم يشركُوا بالله، وذَكروا أَشْياء فخرج علَيهم رسولُ الله ﷺ، فقَالَ: «ما الَّذي تَخُوضُون فيه؟» فَأَخبروه، فقَالَ: « هم الَّذين لَا يرقُون، ولَا يسترقُون، ولَا يتطَيَّرُون، وعلَى ربِّهم يتوكَّلُون»، فقَام عُكَّاشَةُ**

بن محصن، فقال: "ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «أنت منهم؟» ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «سبقك بها عكاشة». متفق عليه.

حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أنس بن مالك رضى الله عنه: «أن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي قبل وفاته، حتى توفاه أكثر ما كان الوحي، ثم توفي رسول الله ﷺ بعد»

قوله: تابع على رسوله. بعد الهجرة إلى المدينة كان الوحي يتتابع على النبي ﷺ، وينزل عليه في القضايا والأحكام ورد الشبهات والأحوال حتى توفاه الله أكثر ما كان يأتيه الوحي قبل ذلك، وكان جبريل ينزل يدارسه القرآن في رمضان، ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما تم الوحي والمعارضات، وثبت القرآن في منازله، وثبت الله ما أراد تثبيته، ونسخ ما يريد نسخه، ورفع ما يريد رفعه.

حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن الأسود بن قيس، قال: سمعت جندبا، يقول: "اشتكى النبي ﷺ، فلم يقم ليلة -أو ليلتين- فأتته امرأة، فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فأنزل الله عز وجل: {والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى} [الضحى: ٢].

قوله: فلم يقم ليلة أو ليلتين. هذه القصة كانت في مكة وفي مراحل البعثة الاولى، والمقصود في هذا الحديث الإشارة إلى إحدى فترات الوحي.

قوله: فأتته امرأة. هي أم جميل بنت حرب الملقبه بالعوراء، وهي زوج أبي لهب، وهي حمالة الحطب التي ذكر الله في القرآن الكريم، وهذه المرأة لها ذكر في سبب نزول سورة الضحى وسورة المسد. **فقالت** تكيد النبي وتحزنه: **يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك.** أو اللفظ الذي تقدم في الضحى (إلا قد قلاك). فأنزل الله هذه السورة العظيمة ليرد عليها كيدها في نحرها، وإنما ينزل الله وحيه تتابعا حسب المناسبات.

وقيل أنه لما نزلت سورة المسد قيل لحمالة الحطب إن مُحَمَّد ﷺ قد هاجاك، فأتت هذه الشقية إلى النبي ﷺ وبحثت عنه فوجدته في طرف المسجد ومعه أبو بكر، وفي يدها حجر كبير ولها ولولة، فخاف الصديق على النبي ﷺ، وقال يا رسول الله هذه امرأه بذيئة قبيحة اللسان وأخشى أن تؤذيك، فقال رسول الله ﷺ إنها لن تراني فالله سيمنعني منها وقد حجبه الله عنها، فلم تراه ﷺ.

٢- بَابُ نَزَلَ القُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ وَالعَرَبِ

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [يوسف: ٢]، {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٥]

عطف العرب على قريش من باب عطف العام على الخاص، والقرآن نزل بلسان العرب، والمقصود في هذا الباب بيان أن القرآن أنزله الله بهذا اللسان العربي المبين العظيم، فوجب ألا يفهم ولا يفسر إلا بمقتضى لسان العرب البين الواضح قبل دخول صناعة الكلام ولغة الأعاجم، وهذا ما كان عليه الأئمة الكبار وعلى رأسهم الإمام الشافعي، فكان يحذر من أن تحمل معاني القرآن على لسان غير لسان العرب، ولما ناظر الإمام الشافعي المعتزلة ورؤوس المعتزلة أكثرهم أعاجم كانوا يحاولون استخدام صناعة الكلام ومجازاته لصرف معاني القرآن الحقيقية إلى معاني بدعية ضالة يريدونها، وكان الإمام الشافعي يرجعهم إلى أصل الكلام.

حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، وَأَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: «فَأَمَرَ عُثْمَانُ، زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَسَعِيدَ بْنَ العَاصِ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، أَنْ يَنْسَخُوهَا فِي المَصَاحِفِ»، وَقَالَ لَهُمْ: «إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي عَرَبِيَّةٍ مِنْ عَرَبِيَّةِ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهَا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا»

قوله: وأخبرني. الواو تدل على شيء محذوف، فلعل البخاري - والله أعلم - حذف أول الحديث وأدخل حرف الواو، إشارة إلى ذلك، وسيأتي هذا الحديث بالباب بعد هذا، وهوحديث جامع، والبخاري أراد فقط ذكر هذه القطعة، وترك الذي حذف لعدم حاجته إليه في هذا الباب.

قوله: ينسخوها. أي ينسخوا الصحف التي كتبت أيام أبي بكر إلى المصاحف، وهي سبعة مصاحف فأبقى بالمدينة مصحفا، ثم أرسل بباقيها إلى الأمصار، كالكوفة والبصرة والشام... إلخ.

قوله: وَقَالَ لَهُمْ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي عَرَبِيَّةٍ مِنْ عَرَبِيَّةِ القُرْآنِ فَاكْتُبُوهَا بِلِسَانِ قُرَيْشٍ. هؤلاء الصحابة الذين اختارهم عثمان لمساعدةً زيدَ بن ثابتَ كلهمَ

قرشيون، وزيد بن ثابت كان أنصاري خزرجي، واختيار عثمان لزيد بن ثابت، لأن زيدا كان من أشهر وأكثر من كان يكتب الوحي والقرآن للنبي ﷺ، فهو على علم بمنازل القرآن، ولأن الصديق رضي الله عنه هو الذي اختاره بمشاورة عمر رضي الله عنهما لكتابة الصحف الأولى خوفا من ضياع القرآن بموت أو قتل القراء، وهو الذي أشرف على الجمع الأول للقرآن الكريم.

حَدَّثَنَا أَبو نُعيم، حَدَّثنا هَمَّامٌ، حَدَّثنا عطاءٌ، وقَالَ: مُسدَّدٌ، حَدَّثنا يَحيى بن سعيد، عَن ابنِ جريجٍ، قَالَ: أَخْبرنِي عطَاء، قَالَ: أَخْبرنِي صفْوانُ بن يعْلَى بن أُميَّة، أَنَّ يعلَى، كَانَ يقُولُ: لَيتنِي أَرى رسولَ الله ﷺ حِين ينْزِلُ عليْه الوحْي، فَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بالْجِعرانَة عليْه ثوبٌ قَدْ أَظَلَّ عليْه، ومعهُ ناسٌ من أَصحابه، إِذْ جاءه رجلٌ متضمخٌ بطيبٍ، فَقَالَ: يا رسولَ اللَّه، كَيفَ ترى فِي رجلٍ أَحرم فِي جُبَّة، بعْد ما تَضمَّخ بطيبٍ؟ فَنظَرَ النَّبِيُّ ﷺ ساعةً فجاءه الوحي، فَأَشار عمرُ إِلَى يعلَى: أَنْ تعالَ، فَجاءَ يعلَى فَأَدخل رأْسه، فَإِذَا هو مُحمَرُّ الوجه، يغطُّ كَذَلك ساعةً، ثُمَّ سُرِّي عنه، فَقَالَ: «أَين الَّذي يسأَلُنِي عن العمرة آنفًا» فَالْتُمس الرَّجلُ فَجِيء به إِلَى النَّبِي ﷺ، فَقَالَ: «أَمَّا الطِّيبُ الَّذي بك فَاغْسلْهُ ثَلَاثَ مرَّات، وأَمَّا الْجُبَّةُ فَانزِعهَا، ثُمَّ اصنع فِي عمرتك كَمَا تَصنعُ فِي حجك»

قوله: وقال: الواو عاطفة، من البخاري، عطف على حديث أبي نعيم عن همام برواية مسدد، ولكنه علقها كما هو ظاهر، ولم يقل حدثنا مسدد وهذا يسمى المعلق، فالحديث علقه مسدد.

قوله: صفوان. هو تابعي

قوله: أَنَّ يعلَى، كَانَ يقُولُ. لم يذكر أن يعلى كان حدثه، وهذه صورة المرسل، وصفوان لم يحضر هذه القصة أو والده أخبره، فرواية مسدد التي علقها البخاري هي المرسلة، والعجيب أن البخاري قدّم ذكر الحديث في كتابه الحج في أول باب من تضمخ بطيب، وأخرج هذا الحديث لكن عن شيخ له آخر، وهو أبو عاصم النبيل، والغريب أنه علقه أيضا، فعلّق رواية أبي عاصم وهو من شيوخه في كتاب الحج، وعلق رواية مسدد وهو من شيوخه، فكلا هاتين الروايتين صورتهما صورة الإرسال وعلقها قصدا، أما رواية همام هنا فهي متصلة وعليها اعتمد البخاري، وتعليق البخاري لرواية مسدد وأبو عاصم في كتاب الحج لمقصد،

وهو أنه يمنع من إعلال المتصل بالمرسل، كما جرت به عادة الأئمة من إعلال الحديث، أي علّوا المتصل بالمرسل.

قوله: لَيْتَنِي أَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ. كان يعلى يتمنى أن يرى حال رسول الله ﷺ عند نزول الوحي عليه، واتصال الملك به.

قوله: بِالْجِعْرَانَةِ. هو موضع خارج الحرم على طريق المدينة يسمى اليوم عين شمس، وهذه الحادثة كانت سنة ثمان من الهجرة بعد غزوة حنين.

قوله: إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مُتَضَمِّخٌ بِطِيبٍ. أي جاءه رجل تضمخ بالطيب بجسده وملابسه.

قوله: فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ سَاعَةً. أي انتظر النبي ﷺ ساعة ينتظر الوحي.

قوله: أَيْنَ الَّذِي يَسْأَلُنِي عَنِ العُمْرَةِ آنِفًا. أي بعد أن ذهب الوحي قال أين من سألني.

قوله: أَمَّا الطِّيبُ الَّذِي بِكَ فَاغْسِلْهُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَأَمَّا الجُبَّةُ فَانْزِعْهَا، ثُمَّ اصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ. أمره أن يفعل بالعمرة كما يفعل بالحج، والنبي ﷺ لم يحج قبل ذلك، ولكن كانوا يطوفون ويحرمون، ولقد أشكل إدخال هذا الحديث في هذا الباب على العلماء. فقال ابن كثير الحافظ في التفسير إن هذا الحديث لا علاقة له بباب لسان قريش، إنما علاقته بالباب الذي قبله أي بالوحي.

٣- بَابُ جَمْعِ القُرْآنِ

من المتواتر المتفق عليه الذي لا يخالف فيه أحدا أن النبي ﷺ توفي وليس القرآن مجموعا في مصاحف، وإنما كان مجموعا في صدور الرجال وقراء القرآن وحفظته من الصحابة، وهو مع ذلك مكتوبا مفرقا فيما يمكن الكتابة عليه في ذاك الزمان كالعظام وغيرها، فالنبي ﷺ لما توفاه الله لم يكن القرآن الكريم مجموعا في صحف أو مصاحف، وقيل إن النبي ﷺ توفاه الله والقرآن على هذه الحال ؛ لأنه كان مطمئنا غاية الطمأنينة أن الله لن يضيع كتابه، وأن أصحابه الكرام سيقومون بالأمر بعده بجمعه وحفظه وضبطه وعدم السماح بضياع شيء منه مطلقا، وأراد الله أن يختص الصديق رضي الله عنه بهذه المهمة العظيمة.

ذكر الإمام البخاري في هذا الباب ثلاثة أحاديث مدارها على الإمام الزهري كلها في شأن القرآن الكريم وجمعه.

حدَّثنا موسى بن إسماعيل، عن إبراهيم بن سعد، حدَّثنا ابن شهاب، عن عبيد بن السَّبَّاق، أنَّ زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: «أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده» ، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنَّ عمر أتاني فقال: إنَّ القتل قد استحرَّ يوم اليمامة بقرَّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقرَّاء بالمواطن، فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: «كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟» قال عمر: هذا والله خير، «فلم يزل عمر يراجعني حتَّى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر» ، قال زيد: قال أبو بكر: إنَّك رجل شابٌّ عاقل لا نتَّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبَّع القرآن فاجمعه، «فوالله لو كلَّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ ممَّا أمرني به من جمع القرآن»، قلت: «كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟»، قال: هو والله خير، " فلم يزل أبو بكر يراجعني حتَّى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبَّعت القرآن أجمعه من العسب واللِّخاف، وصدور الرجال، حتَّى وجدت آخر سورة التَّوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره، {لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيز عليه ما عنتُّم} [التوبة: ١٢٨] حتَّى خاتمة براءة،

فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "

قوله: عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ. كذا في كل نسخ الصحيح، عدا نسخة أبي ذر الهروي فيها عن زيد بن ثابت، وهي النسخة التي يشرح عليها الحافظ ابن حجر. وهذه صورة الإرسال، فعبيد بن السباق تابعي من الطبقة الأولى من تابعي أهل المدينة، وقد أدرك بعض الصحابة مثل زيد بن ثابت وسهل بن حنيف وغيرهما، وهذا أمر واضح.

قوله: مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ. أي بعد قتل أهل اليمامة، والمراد بأهل اليمامة من قتل بها من الصحابة في الواقعة مع بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة، وقد قتل فيها عدد كبير من الصحابة، وهذا أثار قلقا عند أمير المؤمنين عمر ﷺ أنه إذا بقي الحال هكذا واستمر القتل بالقراء فيخشى على القرآن من التفلت والضياع.

قوله: اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرَّاءِ الْقُرْآنِ. أي كثر القتل لهم يوم اليمامة، هذا الأمر أقلق أبي بكر وعمر، فأمر أبو بكر بجمع القرآن وكتابته في صحف، بعد أن شرح الله صدره، وعلم أن هذا المقام مقامه، وإذا لم يقم هو به وهو أشهر أصحاب الرسول ﷺ فيخشى أن غيره سيعجز عن ذلك، فاختار أبو بكر الصديق لهذه المهمة العظيمة زيد بن ثابت الأنصاري كونه أحد أشهر حفاظ القرآن وأشهر من كان يكتب الوحي للنبي ﷺ وهو في موضع الثقة، ولأجل هذه المقومات اختار الصديق زيد بن ثابت لهذا العمل العظيم، فإن القرآن مكتوب كله ولكن مفرق.

قوله: العسب. هو جريد النخل.

قوله: اللخاف. صفائح من الحجارة عريضة.

بدأ زيد هذا المشروع بأمر من الصديق وإشرافه، فجمع القرآن كله ودونه ورقمه في تلك الصحف، حتى إن آخر سورة التوبة وهي سورة براءة وجدها مع الصحابي أبي خزيمة الأنصاري وهذا هو الصحيح، وهنا تحقق وعد الله تعالى بحفظ القرآن الكريم.

وبعد وفاة أبي بكر انتقلت تلك الصحف إلى بيت عمر ﷺ، ولما حضرته الوفاة أوصى عمر بأن تنتقل الصحف إلى بيت أم المؤمنين حفصة بنت عمر لتعود إلى بيت النبوة

من جديد الذي خرج منه هذا القرآن، فبقيت الصحف عند أم المؤمنين حفصة حتى قام عثمان بمشروعه الذي سيأتي ذكره، فما فعله الصديق وافقه عليه الصحابة جميعا، ورضوا عنه، وحمدوه عليه.

حَدَّثَنَا مُوسَى، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ، حَدَّثَنَا ابْنُ شِهَابٍ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، حَدَّثَهُ: أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ أَرْمِينِيَةَ، وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلاَفُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ، قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلاَفَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: « أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ»، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ "، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلاَثَةِ: « إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ» فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ، رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ، أَنْ يُحْرَقَ.

هنا تجدد أمر آخر في زمن عثمان حيث كثرت الفتوحات وتجاوزت الشام والعراق إلى أرمينية وأذربيجان وكثر الناس، وكانوا يقرأون ما تلقوه من أنواع القراءات وفيها الخلافات المشهورة، وذلك لأن القرآن نزل على سبعة أحرف، ولكن هذا الاختلاف بعد أن كان رحمة ونعمة، صار في هذه الحال إلى نقمة، حيث أنكر كل واحد قراءة الآخر، وبدأ يظهر الخلاف والشقاق بين المسلمين، رأى ذلك الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان، فجاء إلى عثمان وقال له أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، اقتنع عثمان وعرف أن الأمر جلل ينبغي حسمه وإدراكه قبل أن يستفحل ويعجزوا عن دفعه، فقرر عثمان نسخ المصاحف وإرسالها إلى الأمصار، فاعتمد على جمع الصديق وعمر، فأرسل إلى أم المؤمنين حفصة أن أرسلي الصحف لننسخ منها المصاحف ثم نردها إليك، وأمر عثمان زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوا

تلك الصحف في مصاحف، وكان اختيار عثمان لهم لأنهم من حفظة القرآن الكريم ومن فصحاء العرب، كما كان اختياره لزيد بن ثابت لسببين:

الأول: كونه حافظ للقرآن، وجامع له في حياة النبي ﷺ، وأحد أشهر من كتب الوحي للرسول.

الثاني: أنه من أشرف على جمع الصحف أيام أبي بكر، فهو أعلم بها ورقمها وخطها.

أوصى عثمان بن عفان عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنهم إذا اختلفوا مع زيد بن ثابت في شيء من القرآن أن يكتبوه بلسان قريش؛ لأنه نزل بلسانهم، فنسخوا ما جمع أيام أبي بكر إلى المصاحف، ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوه، فقيل : نسخ أربعة مصاحف أرسلها إلى الكوفة، والبصرة، والشام، ومكة، وقيل : إنهم خمسة، والخامس لأهل المدينة، وقيل : إنهم ستة والسادس اختص عثمان به لنفسه، وقيل : سبعة والسابع لأهل اليمن، وأمر عثمان بحرق باقي النسخ غير هذه النسخة التي جمعها، ووافق الصحابة على ذلك.

قال ابن شهاب: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت، سمع زيد بن ثابت قال: "فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه} [الأحزاب: ٢٣] فألحقناها في سورتها في المصحف "

هذا الحديث موصول بنفس السند السابق، وزيد بن ثابت حاضر بهذه الأحاديث الثلاثة، مر معنا حديث ابن السباق أن زيد بن ثابت لما أمره أبو بكر أن يجمع القرآن في الصحف قال زيد فوجدت آخر سورة براءة مع أبي خزيمة الانصاري، وهي آخر آيتين من التوبة، وفي زمن عثمان لما نسخوا المصاحف من الصحف، فكان يحتاج أن يتفق مع صحابي آخر عليها قال فالتمسناها ونسب الإلتماس إلى الأربعة السابقين فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، وهذا صحابي آخر غير أبي خزيمة الأنصاري، وهذه الآية هي: {من الْمُؤْمنين رجالٌ صدقُوا ما عاهدُوا اللَّه عليْه فمنهم من قضى نَحبه ومنهم من ينتظر وما بدَّلُوا تَبْديلًا} [الأحزاب: ٢٣]، قال زيد: فألحقَناهَا في موضعها في سورةَ الاحزاب.

٤- باب كاتب النبي ﷺ

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، أن ابن السباق، قال: إن زيد بن ثابت، قال: أرسل إلي أبو بكر رضي الله عنه قال: إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فاتبع القرآن، " فتتبعت حتى وجدت آخر سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدهما مع أحد غيره، {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم} [التوبة: ١٢٨] إلى آخره "

قوله: باب كاتب النبي ﷺ. كذا اسم الباب في أغلب النسخ المعتمدة من الجامع الصحيح، وأراد البخاري بهذا الباب التنويه بزيد بن ثابت، فزيد بن ثابت حاضر في جميع الأحاديث وحاضرا بقوة في نسخ المصاحف، فكان كثيرا ما يدعوه الرسول ﷺ على وجه الخصوص ليكتب له، وكان الرسول ﷺ يعتمد عليه في كتابة القرآن، فزيد بن ثابت هو كاتب النبي ﷺ لا غيره.

حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، قال: لما نزلت: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله}، قال النبي ﷺ: « ادع لي زيدا وليجئ باللوح والدواة والكتف - أو الكتف والدواة -» ثم قال: "اكتب {لا يستوي القاعدون} [النساء: ٩٥] " وخلف ظهر النبي ﷺ عمرو بن أم مكتوم الأعمى، قال: يا رسول الله فما تأمرني، فإني رجل ضرير البصر؟ فنزلت مكانها: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين} في سبيل الله {غير أولي الضرر} [النساء: ٩٥]

أول ما نزلت الآية نزلت هكذا بدون استثناء.

قوله: ادع لي زيدا. دعا النبي ﷺ زيدا، وخصه من بين الجميع؛ لأنه كثيرا ما كان يدعوه ليكتب له.

قوله: قال: يا رسول الله فما تأمرني، فإني رجل ضرير البصر؟ القائل هو ابن أم مكتوم. ونزلت هذه الآية بالعموم **{لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله}** سواء كانوا أصحاب ضرر أم لا، فلما قال ابن أم مكتوم لا أحسن القتال ولا أستطيع المشي إلا بمشقة، نزلت على الرسول ﷺ ولا يزال المجلس هو نفسه **{لا يستوي القاعدون**

من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله غير أولي الضرر} هكذا رتبت الجمل، ولكن في المصاحف توجد **{لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله}** [النساء: ٩٥] هكذا اعتمدت وهذا يكثر في الروايات أن تتقدم بعض الكلمات على بعض، والعبرة هو ما قرأه المسلمون عبر الزمن والروايات تختلف.

٥- بَابُ أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ ، قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حَدَّثَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ وَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ»

هذه قضية كبيرة، وكثر فيها بيان العلماء، فما هي السبعة أحرف ؟

وهل هي باقية أم زالت ؟

وهل أزالها عثمان وجمع الناس على حرف واحد؟

نزول القرآن على سبعة أحرف كان نعمة ورحمة، وكلها كاف شاف، ثم في زمن عثمان أخذ كل شخص يقرأ بحرف، فبدأوا يتنازعون ويتقاتلون ويكفّر بعضهم بعضا، فصار فيه إشكال، فجمع عثمان الناس على مصحف واحد.

حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدٍ القَارِيَّ، حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ، لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلاَةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ» فَقَرَأَ عَلَيْهِ القِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ»، ثُمَّ قَالَ: «اقْرَأْ يَا عُمَرُ» فَقَرَأْتُ القِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ»

أخرج البخاري هذا الحديث بنفس إسناد الحديث السابق، وهو سند مصري، أي رجاله مصريون.

قوله: المِسْوَرُ بْنَ مَخْرَمَةَ. هو صحابي وهو في سن الحسين بن علي ﷺ.

قوله: وعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدٍ القَارِيَّ. هو من كبار التابعين.

كان هشام يصلي ويقرأ القرآن فوجده عمر بن الخطاب ﷺ يقرأ على حروف كثيرة لم يقرأها رسول الله ﷺ له، فانتظر عمر حتى فرغ هشام من صلاته فأمسكه عمر، وقال له: من أقرأك هذا ؟ قال هشام اقرأنيها رسول الله ﷺ. فقال عمر: كذبت، لقد أقرأني رسول الله ﷺ على غير ما قرأت. فأخذه إلى رسول الله ﷺ، وقرأ هشام فقال: كذلك أنزلت، ثم قرأ عمر فقال: كذلك أنزلت. ثم بين السبب في هذا الاختلاف، وقال: "إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ».

٦- باب تأليف القرآن

مقصود هذا الباب قضيتان:

القضية الأولى ترتيب سور القرآن بالمصحف.

القضية الثانية ترتيب آيات السور الواحدة.

هذا المقصود بكلمة تأليف القرآن، ويقال أيضا تهذيبه.

حدَّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أنَّ ابن جريج أخبرهم، قال: وأخبرني يوسف بن ماهك، قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، إذ جاءها عراقيٌّ، فقال: أيُّ الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرُّك؟ " قال: يا أمَّ المؤمنين، أريني مصحفك؟ قالت: لم؟ قال: لعلِّي أؤلِّف القرآن عليه، فإنَّه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرُّك أيَّه قرأت قبل؟ " إنما نزل أوَّل ما نزل منه سورة من المفصَّل، فيها ذكر الجنَّة والنَّار، حتَّى إذا ثاب النَّاس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوَّل شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة على محمَّد ﷺ وإني لجارية ألعب: {بل السَّاعة موعدهم والسَّاعة أدهى وأمرُّ} [القمر: ٤٦] وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده "، قال: فأخرجت له المُصحف، فأملت عليه آي السُّور

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان يأتيها الصحابة والتابعين يستفتونها، ويطلبون منها الحديث والقرآن، ويستشيرونها في الأمور، فيدخلون عليها وبينها وبينهم حجاب، ولا عجب في ذلك فهي أعلم نساء الأمة مطلقا، فهي من أكثر الصحابة رواية للحديث، وكانت صاحبة فتوى واسعة، وطال عمرها، وسمع الخلق منها علما كثيرا.

جاء عند عائشة رجل من العراق، فسألها عن أي الكفن خير؟ قالت : ويحك ؛ وما يضرك.

والمعلوم أن أهل العراق كانوا يكثرون من السؤال عن التفاصيل الدقيقة، ويجعلونها قضايا كبرى، فعائشة رضي الله عنها صرفته إلى ما هو أهم، وهو أن يهتم الإنسان بأن يموت على الخير والهدى والإيمان، فإذا مات مؤمنا مقبلا لا يضره لو لم يكفن، حتى لو رمي في البحر، ولا ينفعه حسن كفنه إذا مات على غير الإيمان، هذا المقصود الذي يجب أن يهتم الإنسان به،

فالرجل المسلم إذا توفي يكفن في ثلاثة أثواب هكذا السنة، والمرأة في خمسة أثواب، فعلى الإنسان أن يحرص على حسن الخاتمة.

قال الرجل العراقي لعائشة : أريني قرآنك انظر إليه. فقالت : لم. قال : لعلي أنظر إليه وأرتب مصحفي على ترتيب مصحفك. فوجهته أم المؤمنين إلى أمر آخر وهو المقصد، قالت : وما يضرك . أي بما بدأت به، أو بما قرأته في الصلاة أو الدرس فهذا لا يضر، لكن لا يجوز أن تقرأ سورة بغير ترتيب آياتها، أما ترتيب السور في المصاحف هو إجماعي من الصحابة، ولا يجوز طبع مصحف على خلاف ذلك مطلقا، وفي ورد المسلم وقراءته اليومية ينبغي عليه ان يبدأ من أول القرآن ويختم بآخره، أما في الصلاة والحفظ والدرس فلا بأس في التقديم والتأخير.

وفي هذا الحديث قصدت عائشة ﵂ أن أول ما نزل القرآن نزل في مقاطع العقائد العظيمة وتوحيد الله ﷻ والبعث بعد الموت، أي نزل ليؤسس الملة والتركيز على العقائد الكبرى قبل الأحكام، فلما استقرت ناسب نزول الأحكام وكان ذلك في المرحلة المدنية، فقولها: **نزل الحلال والحرام**. أي: العبادات والأحكام، ففي مكة لم ينزل من الأحكام إلا الصلاة، ثم تبين عائشة الحكمة من ذلك بقولها: **وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، ولَو نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا**، فكيف يتركوا شرب الخمر والزنا وهم لم يؤمنوا بعد، ولم يعتقدوا أن مُحَمَّدا ﷺ هو الرسول، فلا بد من الإيمان أولا، كما بينت أن العقائد نزلت في القرآن المكي، أما السور المشتملة على الأحكام كسورة البقرة والنساء فلم تنزل عليه ﷺ إلا بعد زواجه منها، أي في المدينة.

حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ بْنِ قَيْسٍ، سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وَطه، وَالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي»

سورة الإسراء والكهف ومريم وطه والأنبياء من السور العتاق الأول أي القدماء، ومقصوده أنه من أول ما أنزل من القرآن في مكة قبل الهجرة، وذكر هذه السور الخمس مرتبة، وهي أيضا مرتبة في المصحف العثماني، فدل على أن مصحف ابن مسعود لا يختلف كثيرا عن المصاحف المشهورة.

قوله: تلادي. مقصد ابن مسعود من الأمر التليد أي السابق القديم، ويقابله الحديث الجديد، يقال: أمر تالد، أي: قديم.

حَدَّثَنَا أَبُو الوَلِيد، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، أَنْبَأَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، سَمِعَ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «تَعَلَّمْتُ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى قَبْلَ أَنْ يَقْدَمَ النَّبِيُّ ﷺ»

يذكر البراء بن عازب ﷺ أنه تعلم سورة سبح اسم ربك الأعلى، قبل أن يدخل الرسول ﷺ إلى المدينة، وفي هذا إشارة إلى أنها سورة مكية.

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «لَقَدْ تَعَلَّمْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرُؤُهُنَّ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ، فِي كُلِّ رَكْعَةٍ»، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ وَدَخَلَ مَعَهُ عَلْقَمَةُ، وَخَرَجَ عَلْقَمَةُ فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: عِشْرُونَ سُورَةً مِنْ أَوَّلِ المُفَصَّلِ عَلَى تَأْلِيفِ ابْنِ مَسْعُودٍ، آخِرُهُنَّ الحَوَامِيمُ: حم الدُّخَانِ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ

قوله: تعلمت. أي تعلمت النظائر التي كان الرسول ﷺ يقرأهن اثنين اثنين في كل ركعة، أي إن النبي ﷺ كان يقرأ في ركعة واحدة من الصلوات الجهرية بسورتين يجمع بينهما، ولا بأس أن يقرأ بهن القارئ في صلاته.

قوله: فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ وَدَخَلَ مَعَهُ عَلْقَمَةُ. القائل: شقيق، وكان عبد الله صوته جميلا في قراءة القرآن، وعندما خرج سألوه عن النظائر التي كان يقرأ بهن الرسول ﷺ في كل ركعة، فقال: عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود؛ إشارة إلى أن لابن مسعود تأليف يخصه في ترتيب السور، فكان يقرأ الرحمن والنجم، القمر والحاقة، الذاريات والطور، الواقعه و ن، المعارج والنازعات، المطففين وعبس، المدثر والمزمل، الإنسان والقيامة، النبأ والمرسلات، الشمس والدخان.

٦- بَابُ كَانَ جِبْرِيلُ يَعْرِضُ القُرْآنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ

وَقَالَ مَسْرُوقٌ: عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ: «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي العَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي»

عرف هذا الباب باسم معارضة جبريل القرآن مع النبي ﷺ، هذه المعارضة كانت في رمضان، ولما كان هنا الحديث عن فضائل القرآن العظيم وما استقر وما رفع، أعاد البخاري المسألة لكن فيما يتعلق بالقرآن ومعارضته وإثبات ما يريد الله إثباته ورفع ما يريد الله رفعه، فجبريل عليه السلام كان يعرض القرآن على النبي ﷺ، واستخدم هنا كلمة يعرض، وفي مواقع أخرى يعارض، وهي معارضة، والمعارضة مفاعلة من الطرفين، وربما كان جبريل يقرأ والنبي ﷺ يسمع، وربما كان جبريل يستمع والرسول ﷺ يقرأ، فيقر له جبريل ما أراد الله أن يقره، ويرفع ما أراد الله أن يرفعه، وهذه المعارضة بينهما كانت تقع في العام مرة واحدة في شهر رمضان، فكان في كل رمضان يصومه النبي ﷺ ينزل عليه جبريل فيدارسه القرآن الذي أنزل خلال عام كامل، ويقر ما يقر بأمر الله، ويرفع ما يرفع بأمر الله، حتى كان العام الأخير من رمضان الأخير في العام العاشر الهجري عارضه جبريل فيه القرآن مرتين من أوله لآخره، فاستشعر النبي ﷺ أن سبب تكرار المعارضة مرتين هو اقتراب أجله، وأن هذا آخر رمضان يصومه.

وهذه العرضة الأخيرة في رمضان الأخير كانت معارضة ومدارسة للقرآن كله ما نزل من أول يوم بعث به النبي ﷺ إلى هذا الوقت في السنة العاشرة حوالى ثلاثة وعشرين عاما، منها عشرة أعوام في المدينة، وثلاث عشرة عاما في مكة.

إذن العرضة الأخيرة هي المرجع، فما أقر فيها هو القرآن الذي أراد الله إقراره، وهذه المعارضة لم تمنع من نزول القرآن، بل نزل ولكن آيات قليلة، ومن أشهر الآيات التي نزلت بعد العرضة الأخيرة قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]. هذه الآية نزلت على النبي ﷺ يوم الجمعة يوم وقوفه على عرفة في حجة الوداع.

ثم علق البخاري حديث عائشة رضي الله عنها فقال: وقال مسروق عن عائشة عن فاطمة قالت أسر... إلخ.

حديث عائشة بمسارة النبي ﷺ لفاطمة علقه البخاري، لكن أخرجه متصلا موصولا مسندا بمواضع أخرى من الصحيح، وأخرجه البخاري عن طريق مسروق بأكثر من سند، ويجب أن نعلم أن مسارة النبي ﷺ لفاطمة وقعت مرتين:

المرة الأولى التي يرويها مسروق هذه، وهو حديث الرسول ﷺ لفاطمة بكت ثم ضحكت.

والمرة الثانية: يرويها البخاري من طريق عروة عن عائشة، وذلك في مرض النبي صلى الله عليه وسلم الذي قبض فيه، فعندما جاءته فاطمة وجلست إليه فسارها بأمر فبكت ثم سارها بأمر فضحكت، فلما قامت سألتها أم المؤمنين عائشة، فقالت لها مباشرة ولم تقل لها كما قالت قبل أن الرسول سارها ولا تستطيع إفشاء السر. قالت أخبرني أنه مقبوض في مرضه هذا.

ففي المرة الأولى أخبرها بمعارضته القرآن، وما سارها أنها أول أهله لحوقا به، وأنها سيدة نساء الجنة، فاختلف الحديثان والقصتان.

وأدخله البخاري هنا معلقا × لأن المقصود منه إخبار النبي ﷺ أن جبريل كان يعارضه القرآن، وفي رمضان الأخير عارضه مرتين.

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ قَزَعَةَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، لأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ القُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»

كان للرسول ﷺ من الصفات أتمها وأكملها، خاصة الكرم والبذل والعطاء، وهذا وصفه الدائم المستمر، وكان ﷺ أجود ما يكون في شهر رمضان، فيزداد خيرا على خير، ونورا على نور، وكان سبب كثرة جوده في رمضان لسببان:

الأول: العلاقة العظيمة بين النبي ﷺ وشهر رمضان، فهو الشهر الذي نبأ فيه وبعث فيه.

الثاني: مدارسة جبريل عليه السلام له القرآن، فكان جبريل يلقى النبي صلى الله عليه وسلم في كل ليلة من رمضان فيعارضة ما أنزل ذلك العام من القرآن الكريم، ولما كان رمضان الأخير عارضه القرآن مرتين كاملتين تامتين حتى انتهى الشهر، ويدل ذلك على أن الذي يقرأ هو النبي ﷺ وجبريل يستمع ويقر بأمر الله ما يريد الله إقراره، ويرفع بأمر الله ما يريد الله رفعه.

والعرضة الأخيرة إليها المرجع في القرآن، فما أقر فيها هو القرآن، وهذه العرضة هي التي جمعت في الصحف أيام أبي بكر ﷺ، وهي التي وقعت في جمع عثمان للقرآن ونسخه في المصاحف، قال تعالى: {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير} [البقرة: ١٠٦].

فما أقر هو الذي أراد الله إقراره، فمثلا آية الرجم رفع لفظها وبقي حكمها، والدليل أن الرسول ﷺ رجم، ورجم أبو بكر، ورجم عمر، ولكنها لم تقر في العرضة الأخيرة، فالعرضة الأخيرة هي التي جمعت في صحف أبي بكر وعثمان، وهذا ليس استنباطا، وإنما نص عليه أجلاء التابعين.

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «كَانَ يُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ القُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعُرِضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، وَكَانَ يَعْتَكِفُ كُلَّ عَامٍ عَشْرًا، فَاعْتَكَفَ عِشْرِينَ فِي العَامِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ»

هذا التنويع في الأحاديث التي ذكرها الإمام البخاري يدل على أن قصة العرضة الاخيرة مما شاع خبرها عند الصحابة ونقلوه نقلا، كأم المؤمنين عائشة، وفاطمة، وابن عباس، وأبي هريرة ﷺ كلهم حدثوا بهذا الامر.

قوله: **حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ**. هو أبو بكر بن عياش، قيل اسمه شعبة، والأصح أن اسمه كنيته، وهو القارئ المشهور أحد الذين رووا قراءة عاصم، فهو أحد ناقلي قراءة عاصم، وأشهر النقلة عن عاصم أبو بكر هذا، وحفص، ويتميز أبي بكر عن حفص أنه ثقة في الحديث وموثق، وهو من رجال الصحيحين، أما حفص وإن كان عمدة في القراءة، فإنهم لا يعتدون به في روايته الحديث.

وكان الرسول ﷺ يعتكف عشرة أيام في العام، لكن اعتكف عشرين يوما في العام الذي قبض فيه، وانفرد أبي هريره ﷺ بذكر اعتكاف الرسول ﷺ مما يجعل للاعتكاف علاقة بالمعارضة، فقد مر سابقا أن جبريل كان يعارض النبي ﷺ القرآن كل ليلة حتى ينتهي الشهر، من أول ليلة إلى آخرها دون تخصيص المعارضة بأيام الاعتكاف، ولكن أبي هريرة ذكر سنة كان يفعلها الرسول ﷺ في رمضان في العشر الأواخر، ولكن اعتكف في السنة الاخيرة عشرين يوما؛ لأنه أوحي إليه أنه عامه الأخير ورمضانه الأخير وسيودع هذه الدنيا ويلحق بالرفيق الأعلى، فاجتهد في العبادة فاعتكف عشرين ليلة، والله أعلم.

٨- بَابُ القُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ

ذكرنا سابقا أنه كان للنبي ﷺ كتبة يكتبون له الوحي، ويعد زيد بن ثابت أكثرهم كتابة للنبي ﷺ، أما هنا فالحديث عن القراء الذين جمعوا القرآن وحفظوه في عهد النبي ﷺ لما كان فيهم كثرة، وثبتت الأحاديث في ذكر بعضهم عند البخاري وعند غيره، وبوب بصيغة الجمع باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، للدلالة على كثرتهم، فقد كان عددهم ليس بالقليل يسمون بالقراء، ففي غزوة بئر معونة بعث النبي ﷺ سبعين من الصحابة يقال لهم القراء؛ ليدعو للإسلام، ولكنهم قتلوا وحزن عليهم الرسول ﷺ حزنا شديدا، ولذلك كانت الترجمة مناسبة بتسمية الباب باب القراء.

حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ: لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ»

لما ذكر عبد الله بن عمرو بن العاص ابن مسعود، قال عبد الله بن عمرو أنه لا يزال يحب عبد الله بن مسعود، ثم بين سبب هذه المحبة، وهي التزكية النبوية لهؤلاء الأربعة ومن بينهم ابن مسعود.

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَمَا أَنَا بِخَيْرِهِمْ» ، قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي الحِلَقِ أَسْمَعُ مَا يَقُولُونَ، فَمَا سَمِعْتُ رَادًّا يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ.

ذكر البخاري هذا الحديث، وفيه تنويه بمقام ابن مسعود رضي الله عنه.

قوله: خَطَبَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ. هذا عندما علم ما فعل عثمان من نسخ المصاحف واختيار أولئك الأربعة لجمع المصاحف ونسخها، فوقع في نفس ابن مسعود شيء فخطب، وقد ذكرنا سابقا سبب فعل عثمان ذلك، لعل السبب في عدم اختياره لابن مسعود أنه كان حينها في الكوفة، والأمر يتطلب العجلة والسرعة، فقد كان عثمان يريد إنهاء المشكلة التي وقع فيها المسلمون بالاختلاف في القراءة كما أخبره حذيفة.

قوله: والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة. يريد ابن مسعود أن يبين سبب اعتراضه على عدم اختياره ضمن المختارين لنسخ المصاحف بأنه أخذ من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، فهو من القراء الكبار، ومصحف ابن مسعود كان يحتوي بضع وسبعين سورة، والقرآن أعم من ذلك مائة وأربعة عشر سورة، وابن مسعود كان لا يرى أن المعوذتين من القرآن؛ لأنه ربما فاته، ولم يكن مع الصحابة، ولم يأخذ من النبي ﷺ أكثر من ذلك، ولو أخذ القرآن كله من فمه عرضا وسماعا؛ لقال أخذت القرآن ولم يذكر بضعا وسبعين، وهذا لا يقلل من شأنه في شيء، وأنه من أعلم الناس بكتاب الله، وبالتالي هناك إجماع على ما فعله عثمان من جمع القرآن بموافقة الصحابة له هو الأصوب.

حدثني محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: كنا بحمص فقرأ ابن مسعود سورة يوسف، فقال رجل: ما هكذا أنزلت، قال: قرأت على رسول الله ﷺ فقال: «أحسنت» ووجد منه ريح الخمر، فقال: أتجمع أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر فضربه الحد.

كان علقمة لا يكاد يفارق ابن مسعود بالكوفة، أو في أي من أسفاره وهو من أصحابه الكبار، وذات مرة وهم في حمص قرأ ابن مسعود سورة يوسف، وذلك لأن أحدهم طلب منه قراءتها لياخذوا عنه قراءة القرآن، فاستجاب لهم وقرأ لهم السورة، ووافق أن في القوم رجل فقال الرجل المبهم، ما هكذا أنزلت وقدح في قراءة ابن مسعود وكأنه من كبار الصحابة، فقال ابن مسعود قرأت على رسول الله ﷺ، فابن مسعود أعطى شيئا من الاحترام وقال له أنه أخذ هذه القراءة مباشرة من الرسول ﷺ، فقال الرجل أحسنت يصحح لابن مسعود، ووجدوا من الرجل ريح الخمر، فعلموا أن الرجل سكران ويهذي، فهنا تحول موقف ابن مسعود وقال أتجمع أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر، فضربه الحد، وما يشكل أنه كيف يضربه ابن مسعود الحد وهو ليس من ذوي السلطان والولاية؛ لأن إقامة الحدود المتفق عليها عند أهل السنن أنها من أعمال الولاة والأمراء فيشكل ذلك، وثانيا أن ظاهر القصة أن ابن مسعود اكتفى بوجود ريح الخمر منه فجلده، وشرب الخمر يكفي لإقامة الحد، لكن بعض الفقهاء يشترطون أمورا أخرى إضافة إلى ذلك كوجود الريح مع الهذيان وذهاب العقل، فإذا اجتمعت القرائن أقاموا عليه الحد.

أما كيف يقيم ابن مسعود الحد وهو ليس من ذوي الولاية، المقصود أن ابن مسعود أخذه ورفعه إلى الوالي فوجدوه كذلك فجلدوه، فنسبوا إليه أنه أقام عليه الحد؛ لكونه أخذه وقدمه إلى القائم بالأمر والوالي.

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَ اللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلاَ أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تَبْلُغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»

قال عبد الله بن مسعود، والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت وفيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه، ينوه ابن مسعود بمقامه من القرآن قراءة وحفظا وعلما بتفسيره.

قوله: أَيْنَ أُنْزِلَتْ. أي بالسورة التي هي عنده التي غلب على ظنه أنها هي القرآن، هذا لا يعني أنه فاته من السور ما فاته، فكان ينكر أن المعوذتين من القرآن، وذلك دل على أنه يتحدث عن العموم المخصوص في علمه وظنه وما هو مصحفه كما قدمنا، أما مقامه في التفسير والقرآن معلوم وواضح وهو من أعمدة المفسرين.

حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ جَمَعَ القُرْآنَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: "أَرْبَعَةٌ، كُلُّهُمْ مِنَ الأَنْصَارِ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ " تَابَعَهُ الفَضْلُ، عَنْ حُسَيْنٍ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ ثُمَامَةَ، عَنْ أَنَسٍ.

جواب أنس بحسب فهمه وعلمه وما انتهى إليه، فهو لا يريد أن ينفي جمع القرآن عن غيرهم، ويعلم أنس وغيره أنهم أعظم من ذلك بكثير.

قوله: كلهم من الأنصار. هذا لا يعني أنه ينفي جمع القرآن عن أحد من المهاجرين، كابن مسعود فهو من كبار المهاجرين والقراء، وسبب قوله: كلهم من الأنصار. مقام معين، وهذا المقام ذكره ابن أبي داود في المصاحف وغيرها، وهو أنه اجتمع الأنصار من الأوس والخزرج وتفاخروا فيما بينهم.

فقالت الأوس: منا أربعة:

الذي حمته الدَّبر قيس بن عاصم حماه الله بالدبر.

ومنا الذي اهتز لموته عرش الرحمن سعد بن معاذ.

ومنا من جعل الله شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت.

ومنا من غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر الذي قتل يوم أحد شهيدا وكان على جنابة.

فرد عليهم الخزرج فقالوا: منا أربعة: لم يجمع القرآن إلا هم. أي المقصد هنا الأربعة دون الأوس لذلك ذكر هؤلاء الأربعة لمقارنتهم مع الاوس، أي ليس لديكم مثلهم معشر الأوس فذكروا هؤلاء الأربعة، وهم:

أبي بن كعب أحد قراء الصحابة الكبار، وقال عنه عمر ﷺ أنه اقرأ الصحابة، وهو الذي جعله عمر إماما للصحابة في صلاة التراويح في رمضان.

ومعاذ بن جبل، وهو أعلم الصحابة بالحلال والحرام وهو أيضا من القراء.

وزيد بن ثابت، ومقامه في القراءة معلوم معروف.

وأبو زيد الأنصاري، شهد العقبة أي بيعة العقبة الثانية وشهد بدرا.

قوله: تابعه الفضل. هو ابن موسى السيناني عن حسين بن واقد عن ثمامة بن أنس بن مالك. فيقصد البخاري من هذه المتابعة أن ثمامة بن أنس روى عن أبيه رواية موافقة لرواية قتادة التي مرت قبل قليل في ذكر هؤلاء الأربعة من الخزرج معاذ وأبي وزيد وأبو زيد.

حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: حَدَّثَنِي ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، وَثُمَامَةُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَجْمَعِ الْقُرْآنَ غَيْرُ أَرْبَعَةٍ: أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ " قَالَ: «وَنَحْنُ وَرِثْنَاهُ».

في هذا الحديث أسقط أنس بن مالك ذكر أُبي بن كعب ووضع مكانه أبو الدرداء، فالبخاري تصرف في هذا الحديث تصرفا حكيما فأورده متصلا مسندا من رواية قتادة، والأسماء الاربعة معهم أُبي، ثم أتي هنا برواية ابن المثنى عن ثابت وثمامة وذكر الأربعة، ولكن خالف الرواية الأولى فأسقط ذكر أُبي بن كعب وذكر مكانه أبو الدرداء، نستخلص من ذلك أن كلا الحديثين صحيح عند البخاري وإن كان الأرجح عنده هي رواية قتادة بذكر أُبي بن كعب؛ لأنه هو المعروف بالقراءة أكثر من أبي الدرداء، وربما أنس كان يذكره هكذا،

ونستخلص من هاتان الروايتان ذكر هؤلاء الخمسة مع أبي الدرداء ولا يجوز إسقاط أُبي بن كعب في أي وجه من الوجوه، فهو ما أراد بهؤلاء الأربعة الحصر التام، وإنما ما عرفوا به واشتهروا.

قوله: ونَحْن ورِثْنَاه. أي طبقة صغار الصحابة كأنس، ورثوا القرآن قراءة وحفظا عن هؤلاء الأربعة.

حَدَّثَنا صَدَقَةُ بنُ الفضْل، أَخْبَرنا يحْيَى، عن سُفْيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاس، قالَ: قال عمر: أُبيٌّ أَقْرؤنا، وإنَّا لَندعُ من لحَن أُبيٍّ، وأُبيٌّ يقُولُ: «أَخذْته من في رسول الله ﷺ فَلا أَتركُه لشيء»، قَالَ اللَّه تعالَى: {ما نَنسخ من آية أَو ننسها نَأْت بخير منها أَو مثْلها} [البقرة: ١٠٦].

في هذا السند لطائف لا بد من ذكرها:

اللطيفة الأولى: هذا سند ثماني، وهو من نوازل الصحيح، والثمانيات موجودة في صحيح البخاري، وأعلى أسانيد البخاري الثلاثيات، أي بين البخاري صاحب الكتاب وبين النبي ﷺ ثلاثة رواه وهم شيخه والتابعي والصحابي، وهي نحو واحد وعشرين حديثا، أما الثمانيات فبين البخاري والنبي ﷺ ثمانية وهذا إسناد نازل، ويوجد عند البخاري أيضا حديث تساعي واحد لا غير، وهو حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها، ومن لطائف البخاري في الصحيح أنه قد أخرج زينب في موضعين في كتاب الفتن:

الأول: بإسناد سباعي في باب قول النبي ﷺ: «ويل للعرب من شر قد اقترب»، حيث قال: حدَّثنا مالك بن إسماعيل، حدَّثنا ابن عيينة، أنَّه سمع الزُّهري، عن عروة، عن زينب بنت أُم سلمة، عن أم حبيبة، عن زينب بنت جحش رضي اللَّه عنهنَّ، أنَّها قالت: استيقظ النَّبيُّ ﷺ من النَّوم محمراً وجهه يقولُ: «لا إله إلاَّ الله، ويل للْعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأْجوج ومأْجوج مثل هذه» وعقد سفيان تسعين أَو مائة قيل: أَنهلك وفينا الصَّالحون؟ قالَ: «نعم، إذا كثر الخبث»

الثاني: بإسناد تساعي في باب يأجوج ومأجوج، حيث قال: حدَّثنا إسماعيل، حدَّثني أَخي، عن سليمان، عن محمَّد بن أَبي عتيق، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزُّبير، أَنَّ زينب بنت أَبي سلمة، حدَّثته عن أُم حبيبة بنت أَبي سفيان، عن زينب بنت جحش: أَنَّ رسول الله

ﷺ دخل عليها يوما فزعا يقول: « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويل لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا»، قالت زينب بنت جحش: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ».

ولعله ذكر الحديث بالسند التساعي؛ لوجود لطائف ثمينة جدا فيه.

اللطيفة الثانية: أن فيه ثلاثة من الصحابة في نسق واحد، فالحديث يرويه ابن عباس الصحابي المشهور عن أمير المؤمنين عمر ﷺ عن أبي بن كعب.

قوله: أُبَيٌّ أَقْرَؤنا. أي للقرآن الكريم، والقائل عمر ﷺ، وهذه تزكية من أمير المؤمنين عمر لهذا الصحابي الجليل أبي بن كعب، ومعنى أقرأنا، أي: أحسننا قراءة واهتماما بالقرآن وحفظا له، ولأن عمر يعتقد في أبي بن كعب أنه من خيرة الصحابة وأفضلهم عناية بالقرآن، ولهذا السبب جعله عمر بن الخطاب إماما يصلي بالناس في رمضان صلاة التراويح.

سقط من النسخ المشهورة في الصحيح عبارة هي من تمام كلام عمر ﷺ، وهي قوله: **وعلي أقضانا**. أي : أعلمنا بالقضاء ومفاصل الأحكام في الخصومات وفصل الخطاب. وهنا لم تذكر هذه العبارة: وعلي أقضانا. لأن صدقة بن الفضل سقط من روايته ذكر علي إما أنه اختصره، أو هكذا ضبطه، أو هكذا حفظه، أو لأسباب أخرى، بينما هذه الجملة ثابتة ومذكورة بلا شك.

قوله: وإنَّا لَنَدَعُ من لَحَن أُبَيّ. أي من حروفه ومن قراءته، ثم بين عمر لماذا نترك من لحن أبي بن كعب، وهذه قضية مهمة جدا، وهذا الأمر أعطانا منهج، فما قاله ابن مسعود قاله أبي بن كعب بأنهم أخذوا القرآن من في رسول الله ﷺ، ثم بين عمر لماذا نترك من حروف أبي بن كعب، ونحن نعلم أنه أخذها من في رسول الله ﷺ كذلك نبني على كلام عمر ﷺ منهج أنه لماذا نترك من حروف ابن مسعود مع أنه أخذ هذا القرآن من الرسول ﷺ، قال عمر إن الله تعالى قال: **{ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِأْهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} [البقرة: ١٠٦]**

نَنسَأْهَا: من النسأ، فإن أُبي بن كعب اعتمد أنه أخذ من فم النبي ﷺ، ويقول عمر إن أبي بن كعب لم يشهد العرضة الأخيرة للقرآن في رمضان بحيث رفع ما رفع وأقر ما أقر، ولم ينتبه أن من القرآن شيء قد رفع أو أقر أو نسخ، وابن مسعود اعتمد كذلك على أنه أخذ

من فم الرسول ﷺ، وعمر والخلفاء الرشدون يصدقونهم في ذلك، لكنهم ينبهونهم أنه نزل صحيح، لكنه في آيات نسخت ورفعت حتى رفعت من مصاحف أبي بكر وعثمان وحصلت على إجماع بقية الصحابة، فاتضح المقام ويزول أي إشكال أو إعراض.

٩- بَابُ فَضْلِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ

تسمى سورة الفاتحة أم الكتاب وأم القرآن وهي سورة عظيمة، وإنما سميت فاتحة الكتاب ؛ لأنها يفتتح بها القرآن وتفتتح بها الصلاة، وإن كانت متأخرة النزول، وأصبحت ركن في الصلاة، ولها قيمة عظيمة قال رسول الله ﷺ: لا صلاة لمن لا يقرأ بفاتحة الكتاب.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي خُبَيْبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: "أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ؟ "، ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ» ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ قُلْتَ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ» قَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»

قوله: أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ. فاتحة الكتاب هي أعظم سورة، وأعطاها الرسول ﷺ هذا التفضيل حيث لم ينزل في الكتب السابقة مثلها، ولأن اشتملت على التمجيد والثناء والحمد وعبادة الله والاستعانة به ومعانيها عظيمة.

قوله: هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي. لأنها سبع آيات.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ المُثَنَّى، حَدَّثَنَا وَهْبٌ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ مَعْبَدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غُيَّبٌ، فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ، فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلاَثِينَ شَاةً، وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ: أَكُنْتَ تُحْسِنُ رُقْيَةً - أَوْ كُنْتَ تَرْقِي؟ - قَالَ: لاَ، مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الكِتَابِ، قُلْنَا: لاَ تُحْدِثُوا شَيْئًا حَتَّى نَأْتِيَ - أَوْ نَسْأَلَ - النَّبِيَّ ﷺ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ» وَقَالَ أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَارِثِ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ، حَدَّثَنِي مَعْبَدُ بْنُ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ بِهَذَا.

قوله: مُحَمَّد. هو ابن سيرين.

قوله: ومعبد. هو ابن سيرين وهما أخوين.

قوله: سيد الحي. هو من المشركين وليس من المسلمين.

قوله: غيب. أي غائب عن الحي.

قوله: فَرقَاه. أي رقاه بفاتحة الكتاب، وهذا وجه إدخال هذا الحديث هنا؛ ليدل على جانب من جوانب عظمة وبركة سورة فاتحة الكتاب، فإن الصحابي رقى بها هذا المريض، ونفعه الله بها نفعا عظيما، فقام كأن لم يصبه شيء، فأعطاهم ثلاثين شاة وسقاهم اللبن، ولما سألوا الرسول ﷺ زكّى رسول هذا العمل وشرعه، فهي أعظم رقية، بل هي الرقية حقا.

١٠- بابُ فَضْلِ سُورَةِ البَقَرَةِ.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ.

وحَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي اللَّه عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ».

أسند البخاري حديث واحد ولكن من طريقين، فقرأ الحديث الأول ثم أوقفه وأوقف نصه، إنما ذكر طرفه ثم انتقل إلى السند الآخر، والفرق أن السند الأول نازل، فبين البخاري والنبي ﷺ ستة من الرواة، بينما السند الذي بعده أعلى بدرجة فبينهم خمسة من الرواة، فذكر السند الأول بنزول درجة، ثم عقب بالسند الثاني بأعلى درجة.

ويؤخذ من هذا الحديث: إذا ذكر فضل آية من الآيات في سورة محددة ينسب الفضل إلى السورة بأكملها كما هنا، فقد بوب باب فضل سورة البقرة.

قوله: كفتاه. أي كفتاه عن قيام الليل، ويحسن أن تقرأ بعد العشاء، لما تضمنته من معاني عظيمة، وهاتان الآيتان فيهما قرآن وتلاوة، وفيهما صلاة وابتهال ودعاء، بل كلها دعاء.

وثبت في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ وأخرجها مسلم أن الله لما أنزل الآية التي قبل هاتين الآيتين الأخيرتين { لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ٢٨٤] لما نزلَت هذه الآيةَ اشتد ذلك علَى الصحابة ﷺ وخافوا منها، ومنَّ محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيرها، وهذا من شدة إيمانهم وإيقانهم، فكانت هاتين الآيتين رحمة لهذه الأمة.

فالآية الأولى هي مجمع عقائد المؤمنين التي فيها الفلاح والنجاح التي آمن بها نبيهم ورسولهم ودعاهم إليهم وعلمهم إياها.

أما الآية الثانية فهي دعاء من المؤمنين إلى ربهم، فثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: قال الله تعالى: قد فعلت، يعني استجبت لكم دعاءكم هذا.

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ الْهَيْثَمِ: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَصَّ الحَدِيثَ، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ»

هذا حديث آخر يدل على فضل سورة البقرة، فآية الكرسي هي أعظم آيه في القرآن، وكل معانيها في باب العقائد العظيمة وصفات الله، وأعظم ما يتقرب به إلى الله بالثناء بصفاته وأسمائه، وهي الآية الوحيدة في القرآن الكريم التي يذكر فيها الكرسي، فقد ذكر العرش في آيات أخرى، ولكن هذه الآية الوحيدة التي ذكر فيها الكرسي، وفضل آية الكرسي أن الله يحفظ قارئها في منامه من أذى الشياطين، ولا يقربه شيطان حتى يصبح.

١١- باب فضل سورة الكهف

حدَّثنا عمرو بن خالد، حدَّثنا زهير، حدَّثنا أبو إسحاق، عن البراء بن عازب، قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين، فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلمَّا أصبح أتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له فقال: «تلك السَّكينة تنزَّلت بالقرآن»

من هنا أخذ البخاري فضل سورة الكهف، فالسكينة تنزل عند تلاوتها وقراءتها، والسكينة هي الطمأنينة واليقين والرحمة، وهذه السحابة هي الملائكة نزلت بالسكينة على ذلك القارئ لسورة الكهف.

١٢- باب فضل سورة الفتح

حدَّثنا إسماعيل، قال: حدَّثني مالكٌ، عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أنَّ رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره، وعمر بن الخطّاب يسير معه ليلًا، فسأله عمر عن شيء، فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثمَّ سأله فلم يجبه، ثمَّ سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمُّك، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرَّات، كلَّ ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحرَّكت بعيري حتَّى كنت أمام النَّاس، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآنٌ، فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآنٌ، قال: فجئت رسول الله ﷺ فسلَّمت عليه، فقال: "لقد أُنزلت عليَّ الليلة سورةٌ لهي أحبُّ إليَّ ممَّا طلعت عليه الشَّمس، ثمَّ قرأ: {إنَّا فتحنا لك فتحا مبينا} [الفتح: ١]

الفتح المقصود هنا هو فتح خيبر، ولا يظن أن المقصود في سورة الفتح هو فتح مكة، فإن هذه السورة نزلت والرسول راجع من الحديبية بعد أن عقد الصلح مع المشركين في السنة السادسة من الهجرة، وفي السنة التي بعدها فتح الله خيبر، أما سورة النصر فهي التي نزل فيها فتح مكة.

وفضل سورة الفتح أن النبي ﷺ وصفها بأنها أحب إليه مما طلعت عليه الشمس. قال العلماء: إن محبة الرسول ﷺ لها وفرحه بها؛ لأنها أولا افتتحت بالبشرى والفتح المبين، مع أن ظاهر الحال صدّ عن البيت والشروط التي اشترطها المشركون فيها إجحاف بالنبي ﷺ وأصحابه، ومع ذلك تأتي البشارة.

ثانيا – لأن الله منح نبيه ﷺ فيها منحا عظيمة، فقال: {ليغفر لك الله ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر ويتمَّ نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيما (٢) وينصرك الله نصرا عزيزا} [الفتح: ٢، ٣].

١٣- باب فضل قل هو الله أحد

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري، أن رجلا سمع رجلا يقرأ: قل هو الله أحد يرددها، فلما أصبح جاء إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها، فقال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»

هذه السورة العظيمة من أعظم سور القرآن.

قوله: قل. فيه دليل أن النبي ﷺ سأله خصومه والمشركين سؤالا مهما، والله تعالى يجيب ويقول له قل لهم، وأجاب بهذا الجواب العظيم.

ومن أسباب نزول هذه السورة أن المشركين قالوا للنبي ﷺ، صف لنا ربك فأنزل الله الجواب، قل لهم هو الله أحد، الله الصمد. وهنا تنزيه عن الشركاء والأنداد والشبيه والمثيل، وهي تعدل ثلث القرآن في أجرها وثوابها، فإذا قرأها القارئ ثلاثة مرات، فكأنه قرأ القرآن كله فيحصل على أجور مضاعفة. قال رسول الله ﷺ: **أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن.**

ولقد تضمنت هذه السورة أصول العقائد في أوصاف الله تعالى، وصفاته الجليلة وكلها في توحيد الألوهية والربوبية.

وزاد أبو معمر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن مالك بن أنس، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري، أخبرني أخي قتادة بن النعمان: أن رجلا قام في زمن النبي ﷺ يقرأ من السحر: قل هو الله أحد لا يزيد عليها، فلما أصبحنا أتى الرجل النبي ﷺ نحوه.

ذكر الحديث بنفس المعنى السابق.

حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا إبراهيم، والضحاك المشرقي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: « الله الواحد الصمد ثلث القرآن». قال أبو عبد الله عن إبراهيم مرسل وعن الضحاك المشرقي مسند.

هذا الحديث يؤكد المعاني السابقة أنها تعدل ثلث القرآن وفي الفضل والشرف والأجر أيضا.

١٤- بَابُ فَضْلِ المُعَوِّذَاتِ

المقصود بالمعوذات سورتي الفلق والناس المبتدأة بـ {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق: ١]، و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس: ١]، ويضاف إليهما سورة {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]، وتعتبر هذه السور الثلاثة هي المعوذات.

وهذه الآيات تفيد اللجوء إلى الله من وساوس الشيطان والسحرة وحسد الحاسدين وكل ما يتأذى منه الإنسان، ومن الأفضل قبل أن يطلب الإنسان من الله يبدأ أولا بحمده والثناء عليه بأفضل وعظيم الصفات، فأصبحت {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١] سورة يحمد بها الله، ويأتي بعدها طلب الاستعاذة بسورة الفلق وسورة الناس.

وقال البخاري: إنه لا بد من قراءة سورة الاخلاص أولا وبعدها الفلق والناس.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»

هنا قالت عائشة إن الرسول ﷺ إذا اشتكى، أي : إذا نابه شيء من مرض أو نحوه، فإنه يرقي نفسه بالمعوذات الثلاث، ويمسح بها وجهه ورأسه وسائر جسده.

قوله: فلما اشتد وجعه. تقصد في مرضه الذي توفي فيه، كانت تجمع يدي الرسول ﷺ وتتولى هي القراءة، ثم تمسح له جسده ووجهه بيديه رجاء بركتهما هذا عند الشكوى من المرض.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا المُفَضَّلُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ: "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

الحديث السابق كان إذا اشتكى، لكن هذا الحديث يدل على أن هذا كان هديه ﷺ وفعله كل ليلة، واختلاف الحكمين واضح، فالحديث السابق دل على أن عند الرقيه

علينا قراءة المعوذات، بينما الحديث الثاني جعلها من قبيل الأذكار التي لا يتركها قبل النوم، وأن النفث يسبق القراءة، ونص على أن سورة الاخلاص من المعوذات.

١٥- باب نزول السَّكينة والملائكة عند قراءة القرآن

في هذا الباب عطف ذكر الملائكة على السكينة، وإنما السكينة تنزل بها الملائكة، فذكرت الملائكة لأنهم هم الذين ينزلون بالسكينة على المؤمنين والتثبيت والرحمة.

وقال الليث: حدَّثني يزيد بن الهاد، عن محمَّد بن إبراهيم، عن أُسيد بن حضير، قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثمَّ قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها، فأشفق أن تصيبه فلمَّا اجترَّه رفع رأسه إلى السَّماء، حتَّى ما يراها، فلمَّا أصبح حدَّث النَّبيَّ ﷺ فقال: اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريبا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السَّماء، فإذا مثل الظُّلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتَّى لا أراها، قال: «وتدري ما ذاك؟»، قال: لا، قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر النَّاس إليها، لا تتوارى منهم»، قال ابن الهاد: وحدَّثني هذا الحديث عبد الله بن خبَّاب، عن أبي سعيد الخدري، عن أُسيد بن حضير

جاء هذا الحديث معلقا في كل النسخ ولم يصله البخاري، ولعل تعليق البخاري لهذا الحديث؛ لأنه اختلف فيه بعض الرواة كالليث وهو من أوثق الرواة، ولم يذكر وصلة بين محمَّد بن ابراهيم وبين أسيد، وإن كان البخاري عقّب بأن بعض الرواة ذكر الحديث عن طريق أبي سعيد الخدري عن أسيد، فبسبب الاختلاف في وصله وإرساله علقه البخاري.

ذكرنا سابقا في حديث البراء أن رجلا كان يقرأ بسورة الكهف فغشيته السحابة ودنت، أما هنا في حديث أسيد أنه هو الذي يقرأ، وأنه كان يقرأ سورة البقرة، ولكن حصل نفس الأمر من نزول الملائكة والسكينة، ويؤخذ من هذا أن السكينة تنزل عند قراءة القرآن، وخاصة عند قراءة سورة الكهف وسورة البقرة.

١٦- بَابُ مَنْ قَالَ: لَمْ يَتْرُكِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ

أورد الإمام البخاري هذا الباب للرد على شبهتين زائفتين باطلتين.

الشبهة الاولى: فيما يتعلق ببعض الأخبار من هنا وهناك تزعم أن القرآن الذي أنزل على النبي ﷺ قد ضاع بعضه أو فات بعضه، وهذه تهمة يقولها القساوسة قديما والمشركون حديثا، ويستدلون بأخبار من الضعيفات على ذلك، والرد عليهم ببيان أن ما بين الدفتين وهي المصاحف المنتسخة على مصاحف عثمان، المنتسخة على صحف أبي بكر، هي القرآن الذي تركه النبي ﷺ بلا زيادة فيه ولا نقصان.

والشبهة الثانية: الرد على الرافضة الشيعة ونحوهم المفترين على الله الكذب، وعلى رسوله، وعلى أهل البيت أيضا في زعمهم أن النبي ﷺ قد خص علياً وفاطمة وأهل البيت بعلم وقرآن غير هذا القرآن الذي يعرفه المسلمون المكتوب المنسوخ بين دفتي المصحف، وبلغت افتراءاتهم مبلغا كبيرا من الكذب، حتى زعموا أن النبي ﷺ خبأ عند ابنته فاطمة مصحفا يسمونه مصحف فاطمة، ليس هذا القرآن الذي يعرفه المسلمون إلا ثلثه، وهذا كله كذب على الله وعلى رسوله وعلى أهل البيت وعلى دين المسلمين.

وهنا يريد البخاري أن يبين حقيقة الأمر، وقد تلطف في هذا الباب بالرد على هؤلاء الرافضة بأن القرآن ناقص، وأن لأهل البيت مصحف يفوق أضعاف ما في كتاب الله الذي يعرفه المسلمون.

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَشَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ، عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ لَهُ شَدَّادُ بْنُ مَعْقِلٍ: أَتَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَ: «مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ» قَالَ: وَدَخَلْنَا عَلَى مُحَمَّدِ ابْنِ الحَنَفِيَّةِ، فَسَأَلْنَاهُ، فَقَالَ: «مَا تَرَكَ إِلَّا مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ»

قوله: أَتَرَكَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ شَيْءٍ؟ هنا محذوف مقدر، والمقصود من شيء غير القرآن، وهذا سؤال صريح ومباشر وواضح، هل ترك النبي ﷺ من شيء غير القرآن الذي نعرفه ونقرأه ونتلوه في محاريب المسلمين ويحفظه صبيانهم في كتاتيبهم، وهذا السؤال لم يأت من فراغ قطعا، إنما بدأت هذه المقالة قديما عند أهل التشيع في العراق وما حولها، وابن عباس كان في العراق

أيام علي بن أبي طالب وبعده قبل أن يعود إلى مكة، فسألوه ليجدوا ردا لما يقوله أهل التشيع من هذا الباطل المزعوم، وقصدوا ابن عباس تحديدا لأمرين:

الاول: أن ابن عباس من أعلم الصحابة، وأعرفهم بالقرآن العظيم ومنازله وبيانه وتاويله وتفسيره، فهو ترجمان القرآن.

والسبب الثاني أنه من أهل البيت فهو ابن عم الرسول ﷺ، ومن أنصار علي بن أبي طالب وكان معه في كل الاحداث التي وقعت له، وكان أميرا له على البصرة، وكان علي ﷺ يستشيره في أمور كثيرة.

فسالوه هذا السؤال الصريح فقال لهم: ما ترك إلا ما بين الدفتين، وما بين الدفتين هو القرآن المعلوم المعروف الذي كتب أيام الصديق ﷺ، وجمع وكتب أيام عثمان ﷺ.

قوله: مُحَمَّد ابن الحنفية. هو مُحَمَّد بن علي بن أبي طالب، ويقال له ابن الحنفية لأنه أمه من بني حنيفة تمييزا له عن أولاد فاطمة الحسن والحسين وهو أخوهما من أبيهما.

هنا حديثا كان مناسبا لو أدخله البخاري في هذا الباب ولم أتبين لماذا لم يدخله، وهو علي بن أبي طالب سئل نفس السؤال فكانت إجابته نفس إجابة ابن عباس ومُحَمَّد ابن الحنفية، وقد أخرج البخاري حديث علي بنفسه في ثلاثة مواضع من الصحيح:

الموضع الأول: في كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، حيث قال: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا مطرف، أن عامرا، حدثهم عن أبي جحيفة ﷺ، قال: قلت لعلي ﷺ: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: «لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة»، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»

الموضع الثاني: في كتاب الديات، باب العاقلة، حيث قال: حدثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عيينة، حدثنا مطرف، قال: سمعت الشعبي، قال: سمعت أبا جحيفة، قال: سألت عليا ﷺ، هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ وقال مرة: ما ليس عند الناس؟ فقال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهما يعطى رجل في كتابه، وما في الصحيفة» قلت: وما في الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر»

الموضع الثالث: في كتاب الديات، باب: لا يقتل المسلم بالكافر، حيث قال: حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا مطرف، أن عامرا، حدثهم، عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي: ح حدثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عيينة، حدثنا مطرف، سمعت الشعبي، يحدث قال: سمعت أبا جحيفة، قال: سألت عليا ﷺ هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟، وقال ابن عيينة مرة: ما ليس عند الناس؟ فقال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهما يعطى رجل في كتابه، وما في الصحيفة» قلت: وما في الصحيفة؟ قال: «العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر».

١٧- بَابُ فَضْلِ القُرْآنِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ

هذا الباب مباشر في مقاصد فضائل القرآن مع جريان هذه الترجمة على قواعد وأصول أهل السنة والجماعة والسلف الصالح من أن القرآن هو كلام الله تعالى تكلم الله به حقيقة بألفاظه ومعانيه غير مخلوق، وأخذ هذا المعنى من ترجمة البخاري يقول باب فضل القرآن على سائر الكلام، ولم يقل على سائر المخلوقات، فالكلام صفة من الصفات.

حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ أَبُو خَالِدٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَرِيحُهَا طَيِّبٌ، وَالَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَالتَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ وَلاَ رِيحَ لَهَا، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الفَاجِرِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ: كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ، وَلاَ رِيحَ لَهَا "

جاءت عادة النبي ﷺ في تقريب المعاني بضرب الامثال في القرآن وإقامة الحجج.

قوله: كَالأُتْرُجَّةِ: هي نوع من الفاكهة.

قوله: الفاجر، أي المنافق.

قوله: الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ. هذا يدل على طيب القرآن، حتى المنافق الذي يقرأ القرآن نفاقا لمآرب أخرى أفاده القرآن طيبا ظاهرا أو رائحة، لكن حقيقة المنافق السوء والكفر، فلذلك طعمها مر.

قوله: الحنظلة، هي أحط ما تثمره الأشجار.

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلاَ مِنَ الأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ العَصْرِ، وَمَغْرِبِ الشَّمْسِ، وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ اليَهُودُ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنَ العَصْرِ إِلَى المَغْرِبِ بِقِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، قَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً، قَالَ: «هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟» قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَذَاكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ شِئْتُ»

أعمار الأمة الإسلامية قليلة إذا ما قورنت بأعمار الأمم السابقة؛ لأنها آخر الأمم، ونبيها آخر الأنبياء، وكتابها آخر الكتب المهيمن على الكتب السابقة، لكنهم عوضوا من الله فضلا كبيرا ومقامات كريمة وأجور عظيمة فاقوا بها ممن كان قبلهم، وأهم صور هذا التعويض إرسال النبي ﷺ وإنزال الكتاب العظيم، ومضاعفة الأجور على الأعمال القليلة، فمثلا الصلاة شرعها الله خمسين صلاة، وما زال الرسول يراجع الله عز وجل حتى صارت خمس صلوات، ولكن بقى أجرها بأجر خمسين صلاة، وليلة القدر شرفها ابتدء بشرف نزول القرآن، وجعل العبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، فهذه الأمة أخذت أجر الأوليين والآخرين كما قال رسول الله ﷺ: **نحن الآخرون زمانا، السابقون مقاما يوم القيامة.**

١٨- باب الوصيَّة بكتَاب اللَّه عزَّ وجلَّ

الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا علما، وما تركوه من مال لا يورث بل يوضع في بيت المال، والنبي ﷺ ما احتاج أن يوصي لأحد أي شيء ؛ لأن الأنبياء لا يورثون.

حدَّثَنَا مُحَمَّدُ بن يوسفَ ، حدَّثَنَا مالكُ بنُ مغْوَل، حَدَّثَنا طَلْحَةُ، قَالَ: سَأَلْتُ عبْدَ اللَّه بنَ أَبِي أَوْفَى: آوْصى النَّبيُّ ﷺ ؟ فقَالَ: لاَ، فَقُلْتُ: كَيْفَ كُتبَ علَى النَّاسِ الوصيَّةُ أُمروا بها ولَمْ يوصِ؟ قَالَ: «أَوصى بكتَاب اللَّه»

في هذا الحديث إبطال لمزاعم الشيعة القائلين أن الرسول ﷺ أوصى بالخلافة إلى علي، ويلقبونه بالوصي، ونفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن يكون النبي ﷺ أوصى لعلي بشيء، فقد كان الرسول ﷺ يحث الناس على الوصية ولم يوصِ، فقال كانت وصيته التواصي بكتاب الله.

١٩- باب من لم يتغنَّ بالقرآن

وقوله تعالى: {أولم يكفهم أنَّا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم} [العنكبوت: ٥١]

حدَّثنا يحيى بن بكير ، قال: حدَّثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرَّحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: «لم يأذن الله لشيء ما أذن للنَّبي أن يتغنَّى بالقرآن»، وقال صاحب له: يريد يجهر به

ذكر البخاري لهذه الآية مهم جدا؛ لأن فيه الإشارة إلى اختياره هو في معنى التغني كما سيأتي ذكره.

قوله: **لم يأذن الله لشيء**. لها معنيان:

المعنى الأول أن أذن من الإذن وهو السماح، وعلى هذا يكون معنى يتغنى به أي يظهره ويجهر به، وهكذا فعل النبي ﷺ حيث أمره الله أن يصدع بالقرآن ويظهره؛ لأن هو رسالته، قال تعالى: {فذكِّر بالقرآن من يخاف وعيد} [ق: ٤٥].

والمعنى الثاني: أذن من الأذن وهو الاستماع، ومنه قوله تعالى: {إذا السَّماء انشقَّت (١) وأذنت لربِّها وحقَّت} [الانشقاق: ١، ٢] أي أصغت لأمر ربها.

فيكون معنى يتغنى بالقرآن بناء على هذا، أي : يحسن صوته به، ويترنم به ويرتله ترتيلا وهذا ما أمر الله به، فقال تعالى: {ورتِّل القرآن ترتيلًا} [المزمل: ٤]، فالرسول صلى الله عليه وسلم أثنى على أبي موسى الأشعري لحلاوة صوته بالقرآن، وكذا أثنى الله على سيدنا داود عليه السلام.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ» قَالَ سُفْيَانُ: تَفْسِيرُهُ يَسْتَغْنِي بِهِ

تقدم الكلام على هذا الحديث.

٢٠- بابُ اغْتباط صَاحب القُرْآن

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْكِتَابَ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ"

أي من أعطاه الله القرآن حفظا وحسن تلاوة وفهما وعلما وأحكامه وتفسيره هذا الذي ينبغي أن يغبط؛ لأنه أوتي خيرا كثيرا، بل لم يؤت أحد من الخير مثله، وذلك ليس لأحد إلا لأهل القرآن.

والغبطة أن نتمنى أن يصبنا من الخير ما يصيب الغير دون الحقد عليه، فإذا كنت تريد أن تغبط أحدا فاغبطه بهاتين الصفتين، فإن القرآن كله علم وذكر وبينات، وإنفاق المال في كل الأوقات حميد ورشيد وطيب ومبارك.

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا رَوْحٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، سَمِعْتُ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ"

هنا أضاف كلمة النهار، ففي كل وقت القرآن طيب، ولكن في قيام الليل لأجل قوله تعالى: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا} [المزمل: ٦].

قوله: يهلكه، أي ينفق ماله في الحق، كإعانة الملهوف وغير ذلك من أوجه الخير الكثيرة.

٢١- باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه

من أوتي القرآن فهو في خير المنازل.

حدَّثنا حجَّاج بن منهال، حدَّثنا شعبة، قال: أخبرني علقمة بن مرثد، سمعت سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرَّحمن السُّلمي، عن عثمان رضى الله عنه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ، قال: وأقرأ أبو عبد الرَّحمن في إمرة عثمان، حتَّى كان الحجَّاج قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا.

قوله: خيركم، هي إطلاق في التفضيل، وعده قطعا أنه لا يمكن أن يعلمه إلا إذا تعلمه تلاوة، وضبط لألفاظه وتجويده ومعانيه ومنازله وبيانه وتفسيره، ولو انفق عمره في ذلك.

قوله: أقرأ، أي تعلم القرآن وقرأه وعرضه على كبار الصحابة، ثم جلس للإقراء والتعليم، ويريد أن يحصل هذه المنازل العالية.

قوله: ذاك، أي هذا الحديث الذي سمعته عن عثمان هو الذي أقعده مقعده هذا، فقد أقرأ القرآن في مسجد الكوفة ستين سنة يرجو فضله وبركته.

حدَّثنا أبو نعيم، حدَّثنا سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن أبي عبد الرَّحمن السُّلمي، عن عثمان بن عفَّان، قال: قال النَّبي ﷺ: «إنَّ أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه»

الفرق بين هذا الحديث، والحديث السابق من جهة الإسناد، فالأول في سنده أن علقمة يروي الحديث عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن، بينما هو لم يذكر سعد بن عبيدة إنما روى الحديث مباشرة عن أبي عبد الرحمن، فصار في علو، وكلا الطريقين صحيح، وأخرجهما البخاري ويكون ذكر سعد بن عبيدة في السند السابق كما يقول أهل الحديث من المزيد فيما اتصل من الاسانيد.

حدَّثنا عمرو بن عون، حدَّثنا حمَّاد، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: أتت النَّبي ﷺ امرأة، فقالت: إنَّها قد وهبت نفسها لله ولرسوله ﷺ، فقال: «ما لي في النِّساء من حاجة»، فقال رجل: زوِّجنيها، قال: «أعطها ثوبا»، قال: لا أجد، قال:

«أَعْطِهَا وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»، فَاعْتَلَّ لَهُ، فَقَالَ: «مَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ؟» قَالَ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ»

هذا الحديث موضعه في كتاب النكاح، وقد ذكره البخاري هناك، وإنما ذكره هنا؛ ليقول إن القرآن يفيد صاحبه في كل شيء، ومنافعه عظيمة، فهذا الرجل تزوج المرأة بما معه من القرآن، أي جعب مهرها أن يعلمها ما معه من القرآن.

٢٢- باب القراءة عن ظهر القلب

حدَّثنا قُتيبةُ بن سعيد، حدَّثنا يعقوب بن عبد الرَّحمن، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، أنَّ امرأةً جاءت رسولَ الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله جئتُ لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسولُ الله ﷺ، فصعَّد النَّظر إليها وصوَّبه، ثمَّ طأطأ رأسه، فلمَّا رأت المرأةُ أنَّه لم يقضِ فيها شيئًا جلستْ، فقام رجل من أصحابه، فقال: يا رسولَ الله إنْ لم يكُن لك بها حاجةٌ فزوجنيها، فقال: «هل عندك من شيء؟» فقال: لا والله يا رسولَ الله، قال: «اذهب إلى أهلك فانظُر هل تجد شيئًا؟» فذهب ثمَّ رجع فقال: لا والله يا رسولَ الله ما وجدتُ شيئًا، قال: «انظُر ولو خاتمًا من حديد» فذهب ثمَّ رجع، فقال: لا والله يا رسولَ الله ولا خاتمًا من حديد، ولكن هذا إزاري -قال سهل: ما له رداء- فلها نصفُه، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما تصنع بإزارك، إنْ لبسته لم يكُن عليها منه شيء، وإنْ لبسته لم يكُن عليك شيء» فجلس الرَّجل حتَّى طال مجلسه ثمَّ قام فرآه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مولِّيًا، فأمر به فدُعي، فلمَّا جاء قال: «ماذا معك من القُرآن؟» قال: معي سورةُ كذا، وسورةُ كذا، وسورةُ كذا -عدَّها- قال: «أتقرؤهنَّ عن ظهر قلبك؟» قال: نعم، قال: «اذهب فقد ملَّكتُكها بما معك من القُرآن»

باب القراءة عن ظهر القلب، أي : حفظه وتغييبه كله أو ما تيسر منه، ومن الجميل أن يجعل المسلم قلبه وصدره مستودعا للقرآن العظيم، يحفظ ما استطاع حفظه، فالرسول ﷺ زوجه؛ لأنه حفظ شيئا من القرآن حفظا عن ظهر قلب، ولا يلزم أن يحفظ القرآن كله فقد لا يستطيع ذلك فليحفظ ما استطاع.

٢٣- بَابُ اسْتِذْكَارِ القُرْآنِ وَتَعَاهُدِهِ

ذكر في هذا الباب ما هو القيد الذي يجب ان يتنبه له حفاظ القرآن حتى لا يضيع منهم حفظ القرآن، وهو التعاهد والدراسة المستديمة المستمرة الغير متقطعة، فمن حفظ القرآن عليه أن يتعاهده ويراجعه باستمرار، فإنه إذا أهمل مراجعته ضاع منه وتفلت منه، ولربما يعجز عن طلبه مرة أخرى.

قوله: استذكار. أي مراجعته.

قوله: تعاهده، على الأيام والليالي بدون انقطاع، فلا يجوز أن يبتعد المسلم عن تلاوة القرآن، فعليه أن يكون له ورد يومي يقرأه من القرآن الكريم.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ المُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ»

حافظ القرآن وجامعه وضابطه سواء كله أو بعضه مثله كمن لديه إبل معلقه إن تعاهد عليها أمسكها، وتأكد من أنها معقلة، فهي باقيه عنده، أما إن أهملها انحلت عقدها، وتفلتت منه وذهبت هنا وهناك، وضاعت كلها أو ضاع بعضها.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَرْعَرَةَ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ نُسِّيَ وَاسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ»

في هذا الحديث تنبيه نبوي إلى أن إهمال القرآن لمن حفظه أو بعضه حتى يتفلّت، ثم لا يلبث صاحبه أن يقول نسيت آية كيت وكيت، وذلك بسبب إهماله، فلا عذر له بذلك، بل هو نسي بسبب إهماله وعدم مراجعته، فبئس ما لأحدهم، فالذي يأثم هو الذي أهمل القرآن ولم يتعاهده.

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ مِثْلَهُ، تَابَعَهُ بِشْرٌ، عَنِ ابْنِ المُبَارَكِ، عَنْ شُعْبَةَ، وَتَابَعَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ شَقِيقٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ.

هذه متابعات ذكرها البخاري، رواية ابن المبارك عن شعبة، ورواية ابن جريج عن عبيدة فيها زيادة تصريح شقيق بالسماع من عبد الله بن مسعود.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ العَلاَءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « تَعَاهَدُوا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا»

نفس المعنى السابق.

٢٤- بَابُ القِرَاءَةِ عَلَى الدَّابَّةِ

حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو إِيَاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَى رَاحِلَتِهِ سُورَةَ الفَتْحِ»

قوله: باب القراءة على الدابة. هنا تنبيه أن القرآن يقرأ على كل حال قاعدا، أو مستلقيا، أو على الدابة وفي السيارة، ومناسبة هذا الباب لما قبله واضحة؛ لأن حفظ القرآن والوصية بتعاهده من طرقها أن يقرأ الحافظ القرآن في كل أحواله.

٢٥- بَابُ تَعْلِيمِ الصِّبْيَانِ القُرْآنَ

حَدَّثَنِي موسى بن إسماعيل ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ المُفَصَّلَ هُوَ المُحْكَمُ، قَالَ: وَقَالَ ابن عَبَّاسٍ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَقَدْ قَرَأْتُ المُحْكَمَ»

أي فضله وأهميته؛ لأن الصبي يكون خالي الذهن ويكون سريع الحفظ، وتعلم القرآن في الصغر يكون بدون كلفة كبيرة، وفيه نفع القرآن للصبي في عقله وقلبه.

المحكم هنا هو المفصل، وبه تتم الفائدة للباب ؛ لأنها جرت عادة الحفاظ الذين يحفظون الصبيان القرآن في الكتاتيب خيث يبدأون من آخر المفصل، ثم إلى طوال المفصل وليس على ترتيب القرآن الذي يبدأ بفاتحة الكتاب ثم البقرة، فليس بمقدور الصبي لصغره أن يبدا بسورة البقرة.

وأشكل عليهم في الحديث قول ابن عباس: توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وهذا خلاف المعلوم المعروف، فابن عباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات على أقل الاحوال أو أكثر قليلا، أي عند وفاة الرسول ﷺ كان عمره ثلاث عشرة سنة؛ لأن المتفق عليه أن الرسول ﷺ قام بالمدينة عشر سنوات، فيكون سن ابن عباس ثلاث عشرة سنة، فأشكل عليهم قوله وأنا ابن عشر سنين، حتى حكم بعضهم على رواية أبي بشر بالوهم، والحقيقة لا وهم فيها، فجرت عادتهم أنهم يذكرون لفظ العقود دون ما زاد عليها.

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «جَمَعْتُ المُحْكَمَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، فَقُلْتُ لَهُ: وَمَا المُحْكَمُ؟ قَالَ: «المُفَصَّلُ»

أراد البخاري بالتعقيب برواية هشيم بعد رواية أبي عوانة، التنويه إلى أن قوله **فقلت له وما المحكم؟ قال المفصل**، ليس من كلام ابن عباس كما تشير إليه ظاهر الرواية هنا، وإنما يفسرها ما تقدم في رواية أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد، فالذي فسر المحكم بالمفصل هو سعيد بن جبير، وجعله المحكم هو المفصل استنباطا منه من قول ابن عباس، قرأت المحكم أو حفظت المحكم أو جمعت المحكم في عهد النبي ﷺ.

قوله: فقلت له. الراوي هو أبو بشر عن سعيد، والذي قال المفصل هو سعيد، والمفصل هو من الحجرات إلى آخر القرآن، وهو ثلاثة أقسام: أوله الحجرات وما بعدها وأواسطه جزء قد سمع، وقصاره الضحى إلى آخر المصحف.

٢٦- بَابُ نِسْيَانِ القُرْآنِ، وَهَلْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}

هذا حكم جديد، أي : حكم نسيان القرآن، وهنا ذكر في الترجمة مسالتين:

الأولى: نسيان القرآن، وقوله ﷺ: تعاهدوا القرآن. وذكرنا إذا كان نسيان القرآن على سبيل الإهمال له وعدم مذاكرته وعدم مراجعته، فصاحبه مذموم، وهي نعمة عظيمة كفرها وما شكرها، فلذلك أوصى النبي ﷺ بوجوب التعاهد، لكن اذا نسي لأسباب أخرى كضعف ذهنه، أو كبر سنه، فهي أمور خارجة عن إرادته، فيرجى أن لا يؤاخذ ولا يعاتب.

المسالة الثانية: يقول نَسيتها ولا يقول نسيتها؛ لأن هذه الكلمة توحي بالإهمال، وهنا تفصيل، فإذا كان يقول نسيت سورة كذا أو آية كذا على سبيل أنه أهملها حتى نسيها، وإذا طلب أن يقرأها لما أحسن، فهذا مثل المسالة الأولى إذا كان على سبيل الإهمال، أما إذا كان على سبيل أنها غربت من ذهنه ووقت سماعها استحضرها، وليس أنه نسي حفظها، أي مجرد ما سمعها ذكرها فيحسن تلاوتها فهذا لا يدخل في الاهمال.

أما قوله تعالى: **{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}**

لا هنا هي النافية، وليست لا الناهية، فلو كانت لا الناهية؛ لكانت جزمت الفعل المضارع وراءها، وبالتالي يجب حذف الألف المقصورة، أما وقد ثبتت الألف المقصورة فهذا يعني أنها لا النافية، والمعنى المعتبر في الآية، فهذا إخبار من الله وليس نهيا للرسول بأن لا ينسى .

إلا ما شاء الله، أي إلا ما شاء الله أن يرفعه بعد ذلك وينسخه وينسيه وينسأه ؛ لأن الله رفعه.

حَدَّثَنَا رَبِيعُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا زَائِدَةُ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: «يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا، آيَةً مِنْ سُورَةِ كَذَا»

عائشة رضي الله عنها هي خالة عروة.

أخر في الرواية ذكر كلمة آية، وسيأتي معنا نفس هذا الحديث بعد هذا عن أبي أسامة عن هشام على الترتيب المناسب. ..آية كذا وكذا كنت أُنسيتها، ثم عطف البخاري

برواية أخرى قال وحدثنا مُحَمَّد بن عبيد الله، قال حدثنا عيسى بن يونس عن هشام قال أسقطهن من سورة كذا وكذا.

قوله: أذكرني. تشعر بوجود النسيان، فالنسيان هنا، وسيأتي له ذكر أيضا في رواية أخرى، لكن بلفظ أنسيتها، وهي في الروايه بعدها.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ مَيْمُونٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى، عَنْ هِشَامٍ، وَقَالَ: أَسْقَطْتُهُنَّ مِنْ سُورَةِ كَذَا، تَابَعَهُ عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، وَعَبْدَةُ، عَنْ هِشَامٍ

هنا عطف البخاري برواية أخرى.

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ابْنُ أَبِي رَجَاءٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةٍ بِاللَّيْلِ، فَقَالَ: «يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا، آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا»

اعاد الحديث السابق حديث هشام بن عروة لكن من طريق آخر.

قوله: أُنسيتها. استحب معظم القراء أن تستخدم هذه الكلمة بصيغة ما لم يسمى فاعله، بدلا من نسيتها لما تحوي هذه الكلمة من إهمال، بل هو نَسي وليس نسي.

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ "

قوله: ما لأحدهم. هنا على سبيل الإنكار، يوضح أن النسيان إذا كان بالإهمال وعدم تعاهد القرآن فصاحبه مذموم، أما النسيان الآني اللحظي، ومجرد ما يذكر يذكره هذا هو الذي تطبق عليه أحاديث النبي ﷺ السابقة أُنسيتها.

٢٧- باب من لم ير بأسا أن يقول: سورة البقرة، وسورة كذا وكذا

هذه قضية جديدة لكن يسيرة، نقل عن بعض الصحابة كابن مسعود أنه كان يكره أن يقول سورة البقرة وسورة الكهف وسورة كذا، وإنما يقول قولوا السورة التي ذكرت فيها البقرة.

فأراد البخاري أن يبين في هذا الباب أن الامر واسع، وأنه جاء في كلام النبي صلى الله عليه وسلم سورة كذا بدون هذا القيد الذي رآه ابن مسعود.

حدَّثنا عمر بن حفص، حدَّثنا أبي، حدَّثنا الأعمش، قال: حدَّثني إبراهيم، عن علقمة، وعبد الرَّحمن بن يزيد، عن أبي مسعود الأنصاري، قال: قال النَّبي ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه»

مر الحديث ومعانيه في فضل سورة البقرة سابقا.

حدَّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزُّهري، قال: أخبرني عروة بن الزُّبير، عن حديث المسور بن مخرمة، وعبد الرَّحمن بن عبد القاري، أنَّهما سمعا عمر بن الخطَّاب، يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصَّلاة، فانتظرته حتَّى سلم، فلببته فقلت: من أقرأك هذه السُّورة الَّتي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت له: كذبت فوالله إنَّ رسول الله ﷺ لهو أقرأني هذه السُّورة، الَّتي سمعتك فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ أقوده، فقلت: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وإنَّك أقرأتني سورة الفرقان، فقال: «يا هشام اقرأها» فقرأها القراءة الَّتي سمعته، فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت» ثمَّ قال: «اقرأ يا عمر» فقرأتها الَّتي أقرأنيها، فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت» ثمَّ قال رسول الله ﷺ: « إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسَّر منه»

ذكر الحديث بطوله، وقد مر الحديث معنا في باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، وذكرنا ما يتعلق في مباحثة حول وصفه في هذا الباب، وأسماء السور هي مجرد أسماء كعلم للسورة، ولا تعني مدح ولا تمجيد للمسمى بها.

حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ آدَمَ، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ، أَخْبَرَنَا هِشَامٌ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ قَارِئًا يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: «يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا»

نفس الحديث السابق، فقد أدخله البخاري هنا؛ لقوله كذا وكذا، وهنا حديث آخر يدل على الحكم السابق.

٢٨- باب التَّرتيل في القراءة

وقوله تعالى: {ورتّل القرآن ترتيلا} [المزمل: ٤] وقوله: {وقرآنا فرقناه لتقرأه على النّاس على مكث} [الإسراء: ١٠٦]، «وما يكره أن يهذّ كهذّ [ص:١٩٥] الشعر فيها»، {يفرق} [الدخان: ٤]: «يفصّل» قال ابن عبّاس: {فرقناه} [الإسراء: ١٠٦]: «فصّلناه»

ينبغي أن يعطى القرآن حقه من التلاوة والترتيل، وقد مر معنا حديث التغني بالقرآن وأحد معانيه تحسين الصوت، وأوامر القرآن صريحة في ذلك، قال الله تعالى: {ورتّل القرآن ترتيلا} [المزمل: ٤].

حدَّثنا أبو النُّعمان، حدَّثنا مهديُّ بن ميمون، حدَّثنا واصل، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: غدونا على عبد الله، فقال رجل: قرأت المُفصَّل البارحة، فقال: «هذًّا كهذّ الشّعر إنّا قد سمعنا القراءة، وإني لأحفظ القُرناء التي كان يقرأ بهنّ النّبيُّ صلى الله عليه وسلم، ثماني عشرة سورة من المُفصَّل، وسورتين من آل حم»

قوله: غدونا على عبد الله. المقصود به ابن مسعود.

قوله: فقال رجل: قرأت المُفصَّل البارحة، أي يفتخر أمام ابن مسعود أنه قرأ المفصل كاملا.

قوله: كهذّ الشّعر، أي يقرأ قراءة سريعة، وهنا إنكار من ابن مسعود للقراءة السريعة كهذ الشعر، وهذا خلاف ما قرأ النبي ﷺ، وخلاف ما قرأ الصحابة.

حدَّثنا قُتيبة بن سعيد، حدَّثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، في قوله: {لا تُحرِّك به لسانك لتعجل به} [القيامة: ١٦]، قال: "كان رسولُ الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي، وكان ممّا يُحرِّك به لسانه وشفتيه، فيشتدُّ عليه، وكان يعرف منه، فأنزل الله الآية التي في: {لا أُقسم بيوم القيامة} [القيامة: ١]، {لا تُحرِّك به لسانك لتعجل به، إنّ علينا جمعه} [القيامة: ١٧] فإنّ علينا أن نجمعه في صدرك {وقرآنه فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه} [القيامة: ١٧] فإذا أنزلناه فاستمع {ثمّ إنّ علينا بيانه} [القيامة: ١٩] " قال: «إنّ علينا أن نبينه بلسانك»، قال: «وكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله»

أدخل البخاري هذا الحديث هنا، وقد مر معنا سابقا وهو حديث استعجال النبي ﷺ قراءة القرآن وسبب نزول قوله تعالى: {لاَ تُحَرِّكْ به لسانَكَ لتعجل به} [القيامة: ١٦]، فكان الرسول ﷺ يحرك شفتيه بما يسمعه من جبريل خشية أن يضيع منه شيء، ونهى الله عن التعجيل بالقرآن في قوله تعالى: {ولَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وحيه وقل رَبِّ زِدْنِي علْما} [طه: ١١٤].

٢٩- باب مدّ القراءة

حدَّثنا مسلم بن إبراهيم ، حدَّثنا جرير بن حازم الأزديُّ، حدَّثنا قتادة، قال: سألت أنس بن مالك، عن قراءة النبي ﷺ فقال: «كان يمدُّ مدًّا»

كان الرسول يمد مدا.

حدَّثنا عمرو بن عاصم، حدَّثنا همَّام ، عن قتادة، قال: سئل أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: «كانت مدًّا» ، ثمَّ قرأ: {بسم الله الرَّحمن الرَّحيم} [الفاتحة: ١] يمدُّ ببسم الله، ويمدُّ بالرَّحمن، ويمدُّ بالرَّحيم

يذكر أنس قراءة النبي ﷺ، والمراد به يمد مدّا.

٣٠- بَابُ التَّرْجِيعِ

ناسب بعد باب المد أن يذكر باب الترجيع، والترجيع هو ترديد الحرف الواحد مقطعا، وهو مما تحسن به التلاوة، والتغني بالقرآن والتلذذ به والتمتع.

حَدَّثَنَا آدَمُ بْنُ أَبِي إِيَاسٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو إِيَاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ أَوْ جَمَلِهِ، وَهِيَ تَسِيرُ بِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الفَتْحِ - أَوْ مِنْ سُورَةِ الفَتْحِ - قِرَاءَةً لَيِّنَةً يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ»

كان الرسول ﷺ على ناقته وهي تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح قراءة لينة يقرأها وهو يرجع.

٣١- بَابُ حُسْنِ الصَّوْتِ بِالقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ أَبُو بَكْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو يَحْيَى الحِمَّانِيُّ، حَدَّثَنَا بُرَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ جَدِّهِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»

في هذا الحديث كما معلوم أن الرسول ﷺ قال لأبي موسى الأشعري : لو رأيتني وأنا استمع لقراءتك البارحة، قال أبي موسى : لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرت لك تحبيرا. فقال رسول الله ﷺ : لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود، وقد أعطى نبي الله داود حسن الصوت بالزبور، فكان إذا قرأ تأثر بقراءته كل شيء حتى الجبال والشجر والطير والوحش كانت تأوب معه لحسن صوته.

٣٢- بَابُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْمَعَ القُرْآنَ مِنْ غَيْرِهِ

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ الأَعْمَشِ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ»، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»

هذا أيضا يدخل في تلاوة القرآن والاستماع إليه، والحضور بالكلية قلبا وسمعا، فهذا واجب عند قراءة القرآن، وقوله تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف: ٢٠٤] فإذا استمع المستمع للقارئ ومر بآية فيها سجدة فسجد فالمستمع يسجد أيضا، فالمحمود حمدا كثيرا هو الحضور التام والاستماع والانصات لتلاوة القرآن من القارئ، وينبغي أن يستحضر هذا الحكم حتى لو كان يستمع من جوال أو غيره فالحكم واحد، فلا يظن الظان أنه اذا قرئ القرآن في إذاعة أو تلفاز أنه من حقه أن يتكلم والقرآن يقرأ هكذا فلا يجوز.

وفي هذا الحديث استصغر ابن مسعود نفسه أن يقرأ القرآن للرسول ﷺ وعليه أنزل، فقال ﷺ: أنا أحب أن أسمعه من غيري.

٣٣- باب قَول المُقْرِئ للْقَارِئ حَسبك

حَدَّثنا مُحَمَّد بن يوسف، حَدَّثنا سُفيانُ، عن الأَعمش، عن إبراهيم، عن عَبيدة، عنْ عَبْد اللَّه بن مسْعُود، قَالَ: قَالَ لي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرأْ عليَّ»، قُلْتُ: يا رسولَ اللَّه، آقْرأُ عليك، وعليْك أُنزِلَ، قَالَ: «نعم» فَقَرأْتُ سورةَ النّساء حتَّى أَتَيْتُ إلى هَذه الآيَة: {فَكَيْفَ إذَا جئنَا من كُل أُمَّة بشهيد، وجئْنَا بك علَى هؤلاء شهيدًا} [النساء: ٤١]، قَالَ: «حسبكَ الآنَ» فَالْتَفتُّ إلَيه، فَإذا عيناه تَذْرِفَان

تلطف البخاري -رحمه الله- تلطفا جميلا عذبا بهذه الترجمة، ففي الترجمة التي قبلها قال إني أحب أن أسمعه من غيري، أما هنا فمن تلطف البخاري جعل النبي ﷺ ليس فقط بمنزلة المستمع إنما هو المقرئ الذي يصحح قراءة القارئ الذي يقرأ عليه، فهو بمنزلة المقرئ والإمام والمعلم، وابن مسعود بمنزلة القارئ المتلقي المتعلم، وهذه لطيفة جميلة جدا في هذه الترجمة؛ لقول البخاري باب قول المقرئ للقارئ حسبك لأنه قرأ بأمره.

وفيه تنبيه إلى فضل ابن مسعود، فإنه قرأ هذه القراءة من أول سورة النساء إلى هَذه الآية: {فَكَيْف إذَا جئنَا من كُل أُمَّة بشهيد، وجئْنَا بك علَى هؤُلَاء شهيدًا} [النساء: ٤١] والرسول ﷺ لا يصحح له شيئا؛ لحسن تلاوته وإعجاب النبي بقراءته، إلى ان وصل إلى هذه الآيات لما فيها من المعنى الجميل.

فمن وظائف الرسول ﷺ الجليلة الشريفة مع الدعوة والبيان والحكم وتبليغ الرسالة والمقامات هو أنه الشهيد على الخلق والأمة.

فإذا أراد المقرئ أو المستمع أن يوقف القارئ أن يقول له حسبك، أي: كافيك ما قرأت، وكافييني ما استمعت إليه.

٣٤- بابٌ: في كَم يُقْرأُ القُرآنُ، وقَوْلُ اللَّه تعَالَى: {فاقْرءوا ما تَيسَّر منهُ}

هذا الباب لمعرفة ما هو الورد المناسب لقراءة القرآن، أي في شهر يختمه أو أكثر أو أقل.

حَدَّثَنا عليٌّ، حدَّثَنا سفْيانُ، قَالَ لي ابْنُ شُبْرمَة: نظَرتُ كَم يكْفِي الرَّجل من القُرْآن، فلَمْ أجد سورةً أقَلَّ من ثَلاث آيات، فَقُلْتُ: لا ينبغي لأحد أنْ يقرْأ أقَلَّ من ثَلاث آيات.

تأمل ابن شبرمة في القرآن فلم يجد سورة أقل من ثلاث آيات، وهي سورة الكوثر، فمن استنباطه أنه لا يجب على أحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات، فجعلها أقل ما يقرأه المسلم من ورده للقرآن.

قَالَ عليٌّ: حدَّثنَا سفْيانُ، أَخْبرنا منصورٌ، عنْ إبراهيم، عنْ عبْد الرَّحمْن بن يزيد، أَخْبره علْقمةُ، عنْ أبي مسعود - ولَقيته وهو يطُوفُ بالْبيت - فذَكر قولَ النَّبي صلى الله عليه وسلم: «أنَّه من قرأَ بالْآيتين من آخر سورة البقرة في لَيْلَة كَفتاه»

هذا الحديث مر معنا سابقا، فمن قرأ آيتان من سورة البقرة حتى أقل استنباط من ابن شبرمة، فهذا دل على أنه ليس هناك حدا محدودا.

حَدَّثَنا موسى، حدَّثنا أَبو عوانة، عنْ مغيرة، عنْ مُجاهد، عنْ عبْد اللَّه بْن عمرو، قَالَ: أَنْكحني أَبي امرأَةً ذات حسب، فكَانَ يتعاهد كَنَّته، فيسأَلُها عن بعلها، فتقُولُ: نعم الرَّجل من رجل لَم يطَأْ لنا فراشا، ولَم يفتّش لنا كَنفًا منذُ أتيناه، فَلَمَّا طَالَ ذَلك عليْه ذكَر للنَّبي ﷺ فقال: «الْقني به»، فَلَقيته بعد، فقَالَ: «كَيف تصوم؟» قَالَ: كُلَّ يوم، قَالَ: «وكَيف تَختم؟» ، قَالَ: كُلَّ لَيلَة، قَالَ: «صم في كُل شهر ثلاثةً، واقرإ القرآن في كل شهر» ، قَالَ: قُلْتُ: أُطيق أَكْثر منْ ذَلك، قَالَ: «صم ثَلاثة أيَّام في الجمعة»، قُلْت: أُطيق أكْثر من ذلك، قال: «أَفْطر يومين وصم يوما» قَالَ: قُلْتُ: أُطيق أكْثر من ذَلك، قَالَ: «صم أَفْضَل الصَّوم صوم داود صيام يوم وإفْطَار يوم، واقْرأْ في كُل سبع لَيال مرَّة» فَليتني قَبلْتُ رخصة رسول اللَّه ﷺ، وذاك أنِّي كَبرت وضعفت، فكَانَ يقرأُ على بعض أَهْله السُّبع من القُرآن بالنَّهار، والَّذي يقرؤه يعرضه من النَّهار، ليكُون أخفَّ عليه باللَّيل، وإذا أراد أَنْ يتقَوَّى أَفْطَر أَيَّاما وأَحصى، وصام مثْلَهنَّ كَراهية أَنْ يترك شيْئًا،

فَارَقَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَيْهِ "، قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: "وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي ثَلاَثٍ وَفِي خَمْسٍ وَأَكْثَرُهُمْ عَلَى سَبْعٍ "

أورد البخاري هنا هذا الحديث بطوله، عبد الله بن عمرو بن العاص كان مجتهدا منقطعا للعبادة يصوم النهار ويقوم الليل، ولا شأن له بغير ذلك، فزوجه أبوه عمرو بن العاص امرأة ذات حسب ونسب، فكان عمرو بن العاص يتعاهد كنته فيسألها عن زوجها، فتقول نعم الرجل، تراه عابدا قائما صائما. ولكنها تلطفت تلطفا جميلا في بث شكواها، فقالت: لم يطأ لنا فراشا، ولم يفتش لنا كنفا، ولم يأتها. فلما طال الأمر رفع أبوه عمرو الشكوى إلى الرسول ﷺ، فذكر الحديث بطوله.

فهنا أراد الرسول ﷺ أن يعيده إلى السداد والاقتصاد؛ ليضمن استمراره عليه وعدم الملل ويعطيه فسحة من الوقت لقضاء الأمور الأخرى، فوجهه النبي ﷺ إلى أن يقرأ القرآن مرة كل شهر، ومنه أخذ أكثر العلماء استحباب أن لا ينقضي الشهر إلا وقد ختم المسلم ختمة، وبناء عليه فقد قسم القرآن إلى ثلاثين جزء حتى يضمن أن يختمه في الشهر، وأن يقرأ كل يوم جزء، فأراد النبي ﷺ أن يتدرج من أعلى إلى أقل.

حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «فِي كَمْ تَقْرَأُ القُرْآنَ؟»

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ، أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ شَيْبَانَ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَوْلَى بَنِي زُهْرَةَ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: وَأَحْسِبُنِي، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَا مِنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اقْرَإِ القُرْآنَ فِي شَهْرٍ» قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً حَتَّى قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ وَلاَ تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ»

أعاد البخاري الحديث، لكن من طريق آخر.

٣٥- بَابُ البُكَاءِ عِنْدَ قِرَاءَةِ القُرْآنِ

حَدَّثَنَا صَدَقَةُ، أَخْبَرَنَا يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ يَحْيَى: بَعْضُ الحَدِيثِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ، حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، عَنْ يَحْيَى، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ الأَعْمَشُ: وَبَعْضُ الحَدِيثِ، حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، وَعَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا} [النساء: ٤١] قَالَ لِي: «كُفَّ - أَوْ أَمْسِكْ -» فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ

حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الوَاحِدِ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ» قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي».

البكاء محمود عند قراءة القرآن، فالله سمى القرآن موعظة، فتدمع العيون لمواعظه ووعده ووعيده، فهذا من علامة الخير والإيمان، ومن لا يعظه القرآن فلا واعظ له، قال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الزمر: ٢٣].

٣٦- بَابُ إِثْمِ مَنْ رَاءَى بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ تَأَكَّلَ بِهِ أَوْ فَخَرَ بِهِ

وضع هنا الباب المناسب بعد وضع باب البكاء؛ لأن التنبيه هنا أن الإنسان لا يحاول أن يبين أنه متأثر بالقرآن كذبا؛ لذلك كان الرسول ﷺ يكتم بكاؤه تكتما حتى يسمعوا في صدره أزيزا، أما الصياح والزعيق فهو غير محمود.

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

هذا الحديث يدل على أن هذه الفرقة الضالة كانوا يراؤون بالقرآن ويفجرون به، ولا يقرأونه إيمانا به لما فعلوا ذلك وكفروا المسلمين، فهؤلاء تجاوزوا أحكام القرآن.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الْفُوقِ»

مر هذا الحديث معنا ووجوده هنا في هذا الباب أن المنافق الذي يقرأ القرآن يرائي به للناس.

٣٧- بَابُ اقْرءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ

ختم الامام البخاري كتاب فضائل القرآن بهذا الباب، ولهذا الختم معناه اللائق، فالقرآن نزل يصدق بعضه بعضا، ولم ينزل ليكذب بعضه بعضا، ومنه المحكم، ومنه المتشابه الذي يجب الإيمان به وإرجاعه للمحكم، ولا يجوز أن يضرب القرآن بعضه ببعض، ولا أن يرد بعضه بعض، قال الله تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [آل عمران: ٧]

عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين عنى الله، فاحذروهم فإنهم دعاة ضلالة وبدعة.

حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الجَوْنِيِّ، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ»

هذه الطريق هنا صريحة في ذكر جندب بن عبد الله، وفي رفع الحديث رفعا بينا للنبي ﷺ.

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثَنَا سَلَّامُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الجَوْنِيِّ، عَنْ جُنْدُبٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَءُوا القُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ» تَابَعَهُ الحَارِثُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، وَلَمْ يَرْفَعْهُ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، وَأَبَانُ، وَقَالَ غُنْدَرٌ: عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، سَمِعْتُ جُنْدَبًا، قَوْلَهُ، وَقَالَ ابْنُ عَوْنٍ: عَنْ أَبِي عِمْرَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، عَنْ عُمَرَ قَوْلَهُ وَجُنْدَبٌ أَصَحُّ وَأَكْثَرُ

ثم اعاد الحديث من طرق مختلفة، فمنهم من رفعه، ومنهم من لم يرفعه، ومنهم من ذكر جندب، ومنهم من لم يذكره، والصواب هي الرواية التي قدمها البخاري وجعلها في الصدارة: حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ... عن النبي ﷺ محفوظا مرفوعا.

وقد وقع تصرف عملي من النبي ﷺ بذلك وهو أنه خرج يوما من منزله فوجد أصحابه جلوسا أمام باب منزله وأحدهم ينزع بآية وآخر ينزع بآية، فقال الراوي فكأنما فقع

في وجهه حب الرمان من شدة الغضب، فقال: أبهذا أمرتم وبهذا أرسلت... إنما نزل يصدق بعضه بعضا.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنِ النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ آيَةً سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ خِلَافَهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ فَاقْرَآ» أَكْبَرُ عِلْمِي، قَالَ: «فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَأُهْلِكُوا»

هذا الحديث مر معنا سابقا مثل حديث هشام مع عمر وقصة أُبي بن كعب وغيره. فقد ظنوا أنهم مختلفون في القراءة، فأخبرهم أنهم كلاهما محسن، وأن القرآن أنزل على سبعة احرف، لكن الحديث هنا فيه زيادة: «**كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ فَاقْرَآ» أَكْبَرُ عِلْمِي، قَالَ: «فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَأُهْلِكُوا**».

أنما نزل القرآن يحذر من الفرقة والاختلاف ويجب العمل به بما أمر الله تعالى، ومن استخدم القرآن في غير ذلك فقد ضل سواء السبيل.

الخاتمة

وفي الختام نسأل الله العظيم أن يجعل ما قدمناه ذخرا لنا جميعا في الدار الآخرة، وأن يعلمنا سبحانه وتعالى ما جهلنا، وأن ينفعنا بما علمنا، ويجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار.

وصل اللهم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين

والحمد لله رب العالمين